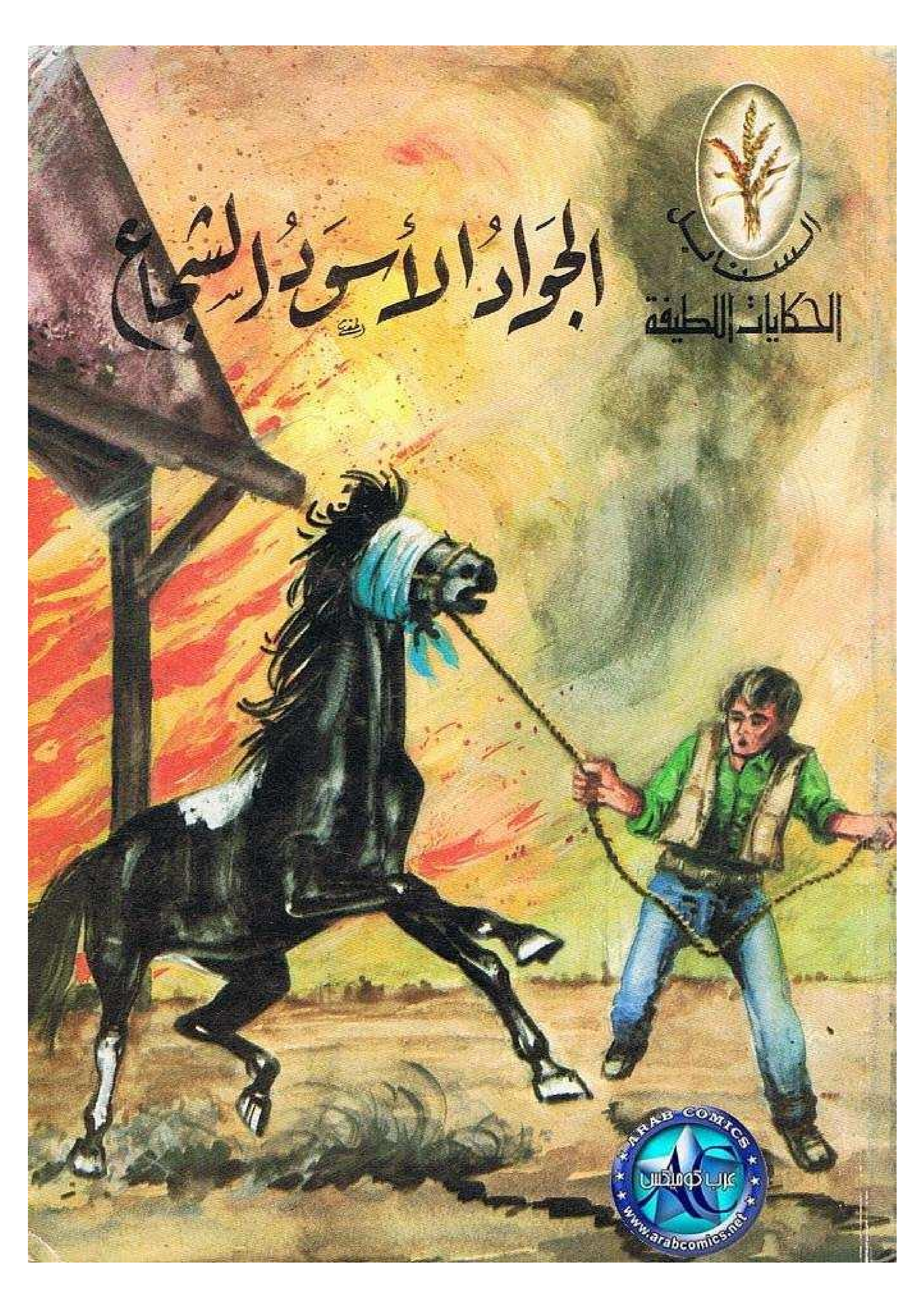
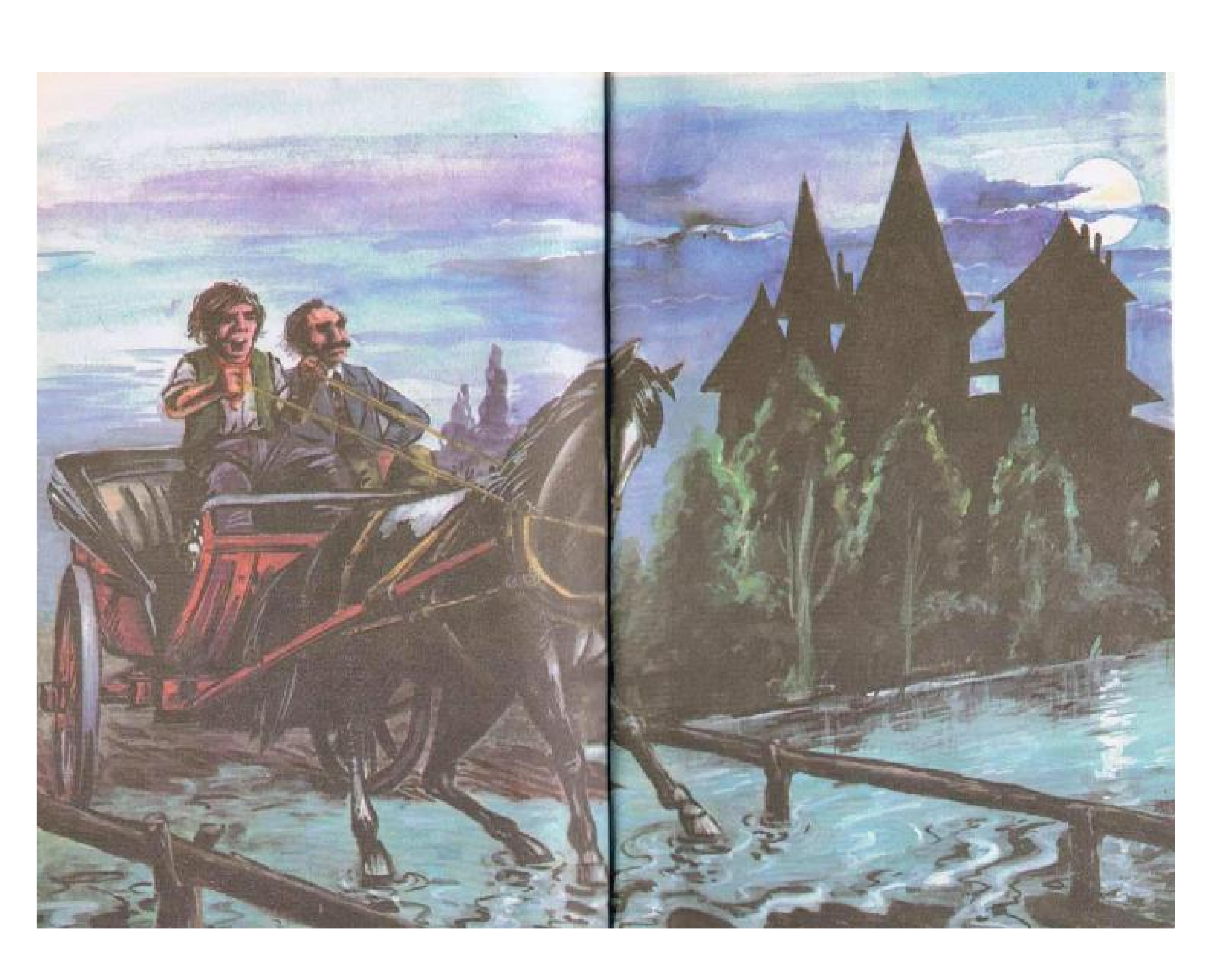

السنابل
الحكايات اللطيفة
الجواد الأسود الشجاع
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net



الجوادُ الأسودُ الشجاع

الحكايات اللطيفة



تأليف : أنا سيول

إعداد : اللواء السيد أبو مسلم

رسوم : نسيم ج. نصيف

مكتبة لبنان

بيروت

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة

الطبعة الثانية
رقم الإيداع : ٢٣٠٦ / ٨٨
الترقيم الدولى : ISBN ٩٧٧-١٤٤٥-٦٤-٢

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة

اَلفَصلُ الأَوَّلُ

أُمّي

لا أَعي ٱلكَثيرَ عَنْ تِلْكَ ٱلفَتْرَةِ ٱلَّتي كُنْتُ فيها صَغيرًا ، وَلٰكِنّي أَذْكُرُ حَقْلًا مُتَّسِعًا غَنِيًّا بِالعُشْبِ ٱلأَخْضَرِ بِهِ قَليلٌ مِنَ ٱلأَشْجارِ . وَأَذْكُرُ أَنَّ أُمّي كانَتْ تَقِفُ تَحْتَ إِحْدى هٰذِهِ ٱلأَشْجارِ في ٱلأَيّامِ ٱلحارَّةِ ، وَأَقِفُ أَنا أَرْضَعُ مِنْ لَبَنِها ، وَذٰلِكَ قَبْلَ أَنْ أَكْبَرَ وَأَبْدَأَ أَرْعَى ٱلعُشْبَ وَٱلحَشائِشَ .



كانَ بِالحَقْلِ عَدَدٌ آخَرُ مِنَ ٱلجِيادِ ٱلصَّغيرَةِ . كُنّا نَلْعَبُ مَعًا هُنا وَهُناكَ في أَرْجاءِ ٱلحَقْلِ ، وَنَرْتَعُ وَنَتَمَرَّغُ في ٱلعُشْبِ ، وَنَرْفُسُ بِأَقْدامِنا في ٱلهَواءِ في مَرَحٍ وَسَعادَةٍ . كُنّا نَسْتَمْتِعُ بِٱلحَياةِ ، وَكَمْ كانَتِ ٱلحَياةُ جَميلَةً في عُيونِنا في ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ .

عِنْدَما بَلَغْتُ مَرْحَلَةَ ٱلفِطامِ ، بَدَأَتْ أُمّي تَتَوَجَّهُ لِلْعَمَلِ كُلَّ يَوْمٍ ، وَعِنْدَ عَوْدَتِها في ٱلمَساءِ كُنْتُ أَقُصُّ عَلَيْها كُلَّ ما حَدَثَ لي طَوالَ ٱليَوْمِ ، وَكانَتْ تَقولُ لي :

« كَمْ أَنا مَسْرورَةٌ لِأَنَّكَ سَعيدٌ . اِلْعَبْ قَدْرَ ما تَسْتَطيعُ وَلٰكِنْ تَذَكَّرْ دائِمًا أَنَّكَ لَسْتَ كَغَيْرِكَ مِنَ ٱلأَمْهارِ . فَسَوْفَ تُصْبِحُ هِيَ بَعْدَ ذٰلِكَ جِيادًا تَعْمَلُ بِالمَزْرَعَةِ ، لِأَنَّها لَيْسَتْ جِيادًا أَصيلَةً . أَمّا أَنْتَ ، فَأَبوكَ جَوادٌ مَعْروفٌ لِلْجَميعِ في كُلِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزاءِ هٰذِهِ ٱلبِلادِ . كَما أَنَّ جَدَّكَ ــ أَعْني والِدي ــ كانَ أَفْضَلَ جِيادِ صاحِبِ ٱلمَزْرَعَةِ . وَعِنْدَما تَكْبَرُ قَليلًا سَوْفَ تَتَعَلَّمُ كَيْفَ تَحْمِلُ ٱلنّاسَ عَلى ظَهْرِكَ ، وَكَيْفَ تَنْقُلُهُمْ مِنْ مَكانٍ لِآخَرَ وَأَنْتَ تَجُرُّ عَرَبَتَهُمْ . »

سَأَلْتُها : « وَهَلْ هٰذا هُوَ عَمَلُكِ يا أُمّي ؟ هَلْ هٰذا هُوَ ما تَقومينَ بِهِ مِنْ عَمَلٍ لِفارْمَر غراي ؟ »

أَجابَتْ : « نَعَمْ هٰذا هُوَ ما أَعْمَلُهُ . فَالسَّيِّدُ فارْمَر غراي يَرْكَبُني أَحْيانًا ، وَأَحْيانًا أُخْرى أَجُرُّ عَرَبَتَهُ ، ها هُوَ ذا قَدْ حَضَرَ . »

وَصَلَ فارْمَر غراي إلى ٱلحَقْلِ. وَكانَ رَجُلًا طَيِّبًا يُحِبُّ أُمّي حُبًّا شَديدًا قالَ لَها :

« حَسَنًا يا أَيَّتُها ٱلجَميلةُ ٱلعَزيزةُ ، لَقَدْ أَحْضَرْتُ لَكِ طَعامًا لَذيذًا لِتَأْكُليه. كَيْفَ حالُ صَغيرِكِ ؟ » ثُمَّ رَبَّتَ على ظَهْري وَأَعْطاني كِسْرةَ خُبْزٍ ؛ وَكانَ خُبْزًا لَذيذَ الطَّعْمِ .

لَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نَرُدَّ على أَسْئِلَتِهِ ، وَلٰكِنَّ أُمّي عَبَّرَتْ لَهُ عَنْ حُبِّها بالصَّهيلِ ، فَرَبَّتَ على ظَهْرِها ، وَانْصَرَفَ .

قالَتْ لي أُمّي : « إنَّهُ رَجُلٌ عَطوفٌ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ كَيْفَ تُرْضيهِ . عَلَيْكَ أَنْ تُؤَدِّيَ عَمَلَكَ دائِمًا بِكُلِّ سَعادةٍ ، وَلا تَلْجَأْ إلى ٱلعَضِّ أَوِ ٱلرَّفْسِ ، حَتّى يَظَلَّ دائِمًا لَطيفًا مَعَكَ . »

اَلفَصْلُ ٱلثّاني

التَّعَلُّمُ

كَبِرْتُ قَليلًا ، وَكانَ شَعْري أَسْوَدَ جَميلًا ، وَكانَتْ إحْدى قَوائِمي بَيْضاءَ ، وَكانَتْ لي غُرَّةٌ ، وَعَلامةٌ بَيْضاءُ فَوْقَ ظَهْري . أَمّا سائِرُ جِسْمي فَكانَ أَسْوَدَ .

عِنْدَما اكْتَمَلَ نُمُوّي قَدِمَ ٱلسَّيِّدُ غوردون مِنَ ٱلمَزْرَعةِ ٱلمُجاوِرةِ لَنا ، وَنَظَرَ إلَيَّ ، ثُمَّ فَحَصَ عَيْنَيَّ وَأَسْناني وَقَوائِمي ، وَقالَ :

« حَسَنٌ جِدًّا . يَجِبُ ٱلآنَ أَنْ يَتَعَلَّمَ كَيْفَ يَعْمَلُ ، وَسَيَكونُ مُمْتازًا . »

ماذا يَجِبُ أَنْ يَتَعَلَّمَ ٱلجَوادُ ؟

عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ كَيْفَ يَقِفُ ساكِنًا عِنْدَما يُرَكَّبُ عَلَيْهِ طَقْمُ ٱلفَرَسِ وَسُيورُ اللِّجامِ . وَأَسْوَأُ أَجْزاءِ اللِّجامِ هِيَ الشَّكيمةُ . وَهِيَ قِطْعةٌ مِنَ ٱلحَديدِ ٱلبارِدِ تُرَكَّبُ في فَمِ ٱلحِصانِ ، وَلا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَعْرِفَ ما تُسَبِّبُهُ مِنْ ضيقٍ إنْ لَمْ يُجَرِّبْها . وَلا يَسْتَطيعُ ٱلجَوادُ التَّخَلُّصَ مِنْ تِلْكَ الشَّكيمةِ ، لِأَنَّ اللِّجامَ يُحيطُ بِرَأْسِ ٱلحِصانِ مِنْ أَعْلى وَتَحْتَ ٱلفَمِ وَحَوْلَ ٱلأَنْفِ .

كُنْتُ أَشْعُرُ بِٱلاِسْتِياءِ مِنْ هٰذِهِ الشَّكيمةِ . وَبِاسْتِثْناءِ ذٰلِكَ فَقَدْ كانَ فارْمَر غراي رَجُلًا طَيِّبًا عَطوفًا . أَمّا أَنا فَلَمْ أَكُنْ أَرْفُسُ أَوْ أَعَضُّ . وَكانَتْ لِأُمّي أَيْضًا شَكيمَتُها الَّتي تُرَكَّبُ في فَمِها أَثْناءَ عَمَلِها ، كَما كانَ لِكُلِّ جَوادٍ شَكيمَتُهُ . لَقَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ ذٰلِكَ ، وَلِهٰذا فَإنَّني كُنْتُ أَقِفُ ساكِنًا لِيُرَكِّبوها

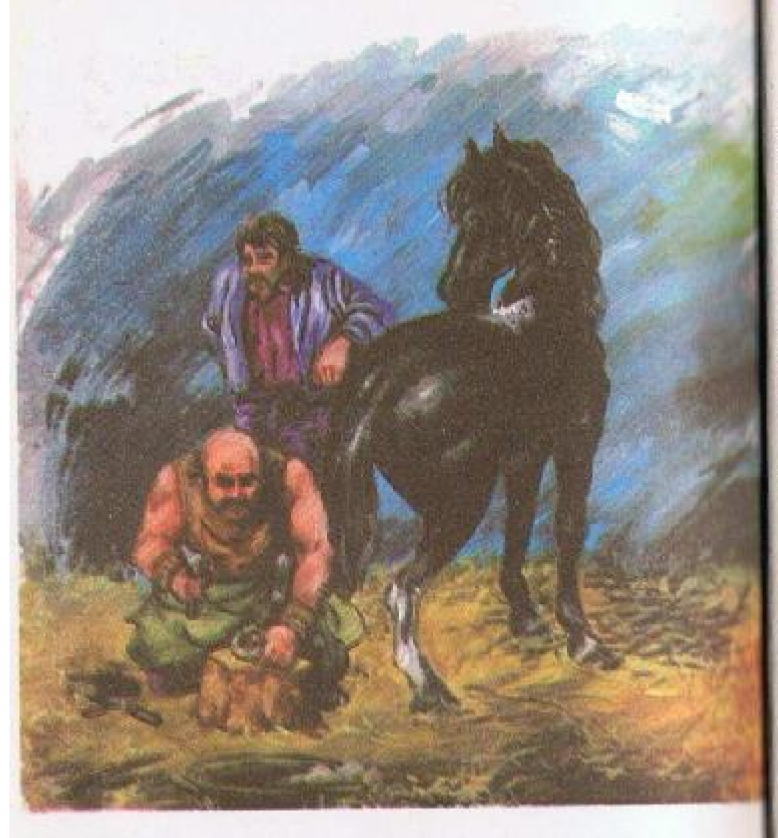
في فَمِي . وَبَعْدَ مُضِيِّ وَقْتٍ قَصِيرٍ لَمْ تَعُدِ الشَّكِيمَةُ تُضايِقُني كَثيرًا .

أَمّا السَّرْجُ فَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا بالِغَ السُّوءِ . فَعَلى كُلِّ جَوادٍ أَنْ يَتَعَلَّمَ كَيْفَ يَقْبَلُ السَّرْجَ عَلى ظَهْرِهِ ، وَكَيْفَ يَحْمِلُ النّاسَ عَلى ظَهْرِهِ سَواءٌ أَكانوا رِجالًا أَمْ نِساءً أَمْ أَطْفالًا . وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَّجِهَ حَيْثُما يُوَجِّهُهُ صاحِبُهُ . وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ كَيْفَ يَسيرُ وَكَيْفَ يَرْكُضُ وَكَيْفَ يَعْدو عَدْوًا سَريعًا .

كانوا يُرْكِبونَ الشَّكِيمَةَ في فَمِي ، وَيَضَعونَ السَّرْجَ عَلى ظَهْرِي كُلَّ يَوْمٍ . وَكانَ فارْمَر غراي يَتَوَلّى بِنَفْسِهِ السَّيْرَ بي في الحَقْلِ الكَبيرِ ، ثُمَّ يُعْطيني بَعْدَ ذلِكَ بَعْضَ الطَّعامِ ، وَيُرَبِّتُ عَلى ظَهْرِي وَيَتَحَدَّثُ إِلَيَّ . كانَ عَطوفًا مَعي ، وَكُنْتُ أُحِبُّ الطَّعامَ وَأُحِبُّ التَّرْبيتَ عَلى ظَهْرِي ، كَما كُنْتُ أُحِبُّ كَلِماتِهِ الرَّقيقَةَ . وَبَعْدَ وَقْتٍ قَصيرٍ لَمْ أَعُدْ أَخافُ الشَّكِيمَةَ أَوِ السَّرْجَ .

ذاتَ يَوْمٍ اعْتَلى فارْمَر غراي ظَهْرِي ، وَجَلَسَ عَلى السَّرْجِ . وَفي اليَوْمِ التّالي رَكِبَني وَسارَ بي في أَرْضِ الحَقْلِ . وَلَمْ يَكُنْ يُعْجِبُني أَنْ يَرْكَبَ أَحَدٌ عَلى ظَهْرِي ، لكِنَّني كُنْتُ مَسْرورًا أَنَّ الَّذي عَلى ظَهْرِي هُوَ سَيِّدي العَطوفُ . وَاسْتَمَرَّ بَعْضَ الوَقْتِ يَرْكَبُني وَيَسيرُ بي في الحَقْلِ كُلَّ يَوْمٍ .

وَكانَ الشَّيْءُ الآخَرُ السَّيِّئُ هُوَ تَرْكيبَ النَّعْلِ (الحَذْوَة) ، وَكُنْتُ خائِفًا . تَناوَلَ الرَّجُلُ الَّذي يَتَوَلّى تَرْكيبَ النَّعْلِ قَوائِمي واحِدَةً بَعْدَ الأُخْرى . فَقامَ أَوَّلًا بِإِزالَةِ بَعْضِ الأَجْزاءِ الصُّلْبَةِ مِنْ حافِري . وَلكِنَّ ذلِكَ لَمْ يُؤْلِمْني ، لِهذا وَقَفْتُ ساكِنًا مُرْتَكِزًا عَلى ثَلاثِ قَوائِمَ عَلى حينَ كانَ الرَّجُلُ يَعْمَلُ في كُلِّ حافِرٍ مِنْ حَوافِري عَلى حِدَةٍ .



وَأَخيرًا رَكَّبَ الرَّجُلُ نَعْلًا حَديدِيًّا في كُلِّ قائِمَةٍ مِنْ قَوائِمي الأَرْبَعِ ، وَلَمْ أَجِدْ في ذلِكَ ما يُؤْلِمُني ، وَلكِنّي لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُحَرِّكَ قَوائِمي بِنَفْسِ السُّهولَةِ

الَّتي كُنْتُ أُحَرِّكُها بِها مِنْ قَبْلُ . إلّا أنّني اعْتَدْتُ بَعْدَ ذلِكَ عَلَيْها ، فَضْلًا عَنْ أنَّها كانَتْ تَحْمي قَوائِمي مِنَ الأَحْجارِ وَمِنْ وُعورَةِ الطَّريقِ .

تَعَلَّمْتُ بَعْدَ ذلِكَ كَيْفَ أَسيرُ بِطَقْمِ جَرِّ الْعَرَباتِ . وَهوَ سَرْجٌ صَغيرٌ وُضِعَ عَلى ظَهْري ، وَطَوْقٌ كَبيرٌ رُكِّبَ حَوْلَ رَقَبَتي ، وَغِمامَتانِ ثُبِّتَتا عَلى جانِبَيْ وَجْهي حالَتا دونَ أَنْ أَرى شَيْئًا بِجانِبي ، فَلَمْ أَرَ إلّا ما كانَ أَمامي مُباشَرَةً .

بَدَأَ فازْمَر غراي يَجْعَلُني أَجُرُّ الْعَرَبَةَ مَعَ أُمّي ، وَكانَ يَقولُ لي وَهُوَ يَضَعُ طَقْمَ الْجَرِّ عَلَيَّ : «إنَّكَ سَوْفَ تَتَعَلَّمُ مِنْها الْكَثيرَ .» وَبِالْفِعْلِ تَعَلَّمْتُ مِنْ أُمّي الْكَثيرَ . فَقَدْ عَلَّمَتْني كَيْفَ أَتَحَرَّكُ وَكَيْفَ أُدْرِكُ ما يُريدُهُ السّائِقُ مِنّي ، وَلٰكِنَّها قالَتْ لي أَيْضًا :

«هُناكَ مَنْ يُجيدونَ قِيادَةَ الْعَرَباتِ ، وَمَنْ لا يُحْسِنونَ قِيادَتَها . وَهُناكَ أَيْضًا سادَةٌ طَيِّبونَ وَآخَرونَ قُساةٌ . فَالسَّيِّدُ فازْمَر غراي سَيِّدٌ طَيِّبٌ إلى أَقْصى مَدًى . إنَّهُ إنْسانٌ عَطوفٌ يُفَكِّرُ في أَمْرِ جِيادِهِ . وَهُناكَ رِجالٌ أَشْرارٌ وَقُساةٌ ، بَلْ وَأَغْبِياءُ . فَعَلَيْكَ دائِمًا أَنْ تَكونَ جَوادًا مُمْتازًا ، وَيَجِبُ أَنْ تَجْعَلَ النّاسَ يُحِبّونَكَ . وَلا تَكُنْ كَسولًا ، حَتّى لَوْ كانَ النّاسُ قُساةً أَوْ كانوا أَغْبِياءَ في تَعامُلِهِمْ مَعَكَ .»

اَلْفَصْلُ آلثّالِثُ

مَزْرَعَةُ آلسَّيِّدِ غوردُون

في شَهْرِ مايو قَدِمَ رَجُلٌ لِيَصْطَحِبَني إلى مَزْرَعَةِ السَّيِّدِ غوردُون ، فَقالَ لي فازْمَر غراي :

«كُنْ جَوادًا مُمْتازًا ، وَابْذُلْ أَقْصى جَهْدِكَ .» وَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَقولَ شَيْئًا ، فَوَضَعْتُ أَنْفي في راحَةِ يَدِهِ ، فَرَبَّتَ عَلَيَّ في رِفْقٍ .

كانَتْ مَزْرَعَةُ السَّيِّدِ غوردُون واسِعَةً ، وَبِها مَنْزِلٌ كَبيرٌ ، وَعَدَدٌ مِنْ حَظائِرِ الْخَيْلِ ، وَسَقائِفُ لِلْعَرَباتِ . وَهُناكَ أُخِذْتُ إلى حَظيرَةٍ بِها أَرْبَعَةُ جِيادٍ .

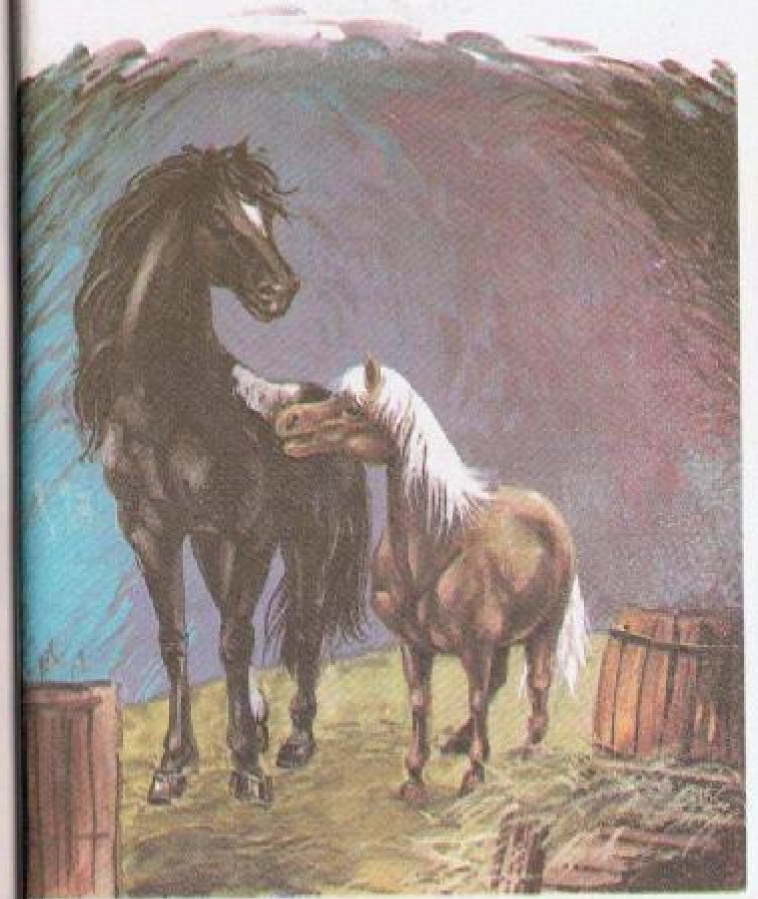
بَعْدَ أَنْ تَناوَلْتُ ما قُدِّمَ لي مِنْ طَعامٍ نَظَرْتُ حَوْلي ، فَشاهَدْتُ - في رُكْنٍ مِنْ أَرْكانِ الْحَظيرَةِ - جَوادًا قَصيرًا ، مُمْتَلِئَ الْجِسْمِ ، ذا رَأْسٍ صَغيرٍ وَعَيْنَيْنِ مُتَأَلِّقَتَيْنِ . فَسَأَلْتُهُ : «مَنْ أَنْتَ ؟»

أَجابَ قائِلًا : «اِسْمي مِريلِغز وَأَنا جَميلٌ جِدًّا ، وَأَحْمِلُ الْفَتَياتِ الصَّغيراتِ عَلى ظَهْري . وَالْجَميعُ يُحِبّونَني ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَكونَ جَوادًا لَطيفًا إذا كُنْتَ سَتَعيشُ إلى جِواري ؛ فَأَنا لا أُحِبُّ الْجِيادَ الَّتي تَعَضُّ .»

نَظَرَتْ فَرَسٌ إلى مِريلِغز مِنْ رُكْنٍ آخَرَ ، وَكانَتْ فَرَسًا ذاتَ شَعْرٍ بُنِّيٍّ ضارِبٍ إلى الْحُمْرَةِ جَميلٍ ؛ وَلٰكِنَّ عَيْنَيْها كانَتا تَفيضانِ بِالْغَضَبِ . وَكانَتْ كُلَّما غَضِبَتْ أَرْجَعَتْ أُذُنَيْها إلى الْخَلْفِ ، شَأْنَ كُلِّ الْجِيادِ عِنْدَما تَغْضَبُ .

وَسَأَلَتِ ٱلفَرَسُ في غَضَبٍ : «هَلْ سَبَقَ أَنْ عَضَضْتُكَ ؟»

أَجابَ مِريلغز بِسُرْعَةٍ : «لا يا جِنْجر ! لَمْ يَحْدُثْ هٰذا .»



عِنْدما خَرَجَتِ ٱلفَرَسُ جِنْجَر لِلْعَمَلِ بَعْدَ الظُّهْرِ ، قالَ لي مِريلغز عَنْها :

«إِنَّ جِنْجَر تَعَضُّ فِعْلًا ، بَلْ إِنَّها عَضَّتْ ذاتَ يَوْمٍ ذِراعَ جيمْس وَآلَمَتْهُ كَثيرًا ، وَتَخْشاها فلورا وَ جيسي ، ابْنَتا السَّيِّدِ غُورْدُون . وَلا تَأْتِيانِ لَنا بِشَيْءٍ لِأَكْلِهِ بِسَبَبِ وُجودِ جِنْجَر هُنا .»

سَأَلْتُهُ : «وَلِماذا تَعَضُّ ؟ هَلْ هِيَ شِرِّيرَةٌ ؟»

أَجابَ : «لا ! وَلٰكِنّي أَظُنُّ أَنَّها لَمْ تَكُنْ سَعيدَةً . وَكَثيرًا ما سَمِعْتُ أَنَّها لَمْ تَتَمَتَّعْ بِعَطْفِ أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ إِلى هُنا . وَلٰكِنَّها سَوْفَ تَتَغَيَّرُ أَثْناءَ وُجودِها مَعَنا . إِنَّني أَبْلُغُ مِنَ ٱلعُمْرِ اثْنَيْ عَشَرَ عامًا ، وَأَسْتَطيعُ أَنْ أُؤَكِّدَ لَكَ أَنَّهُ لَيْسَ هُنالِكَ مَكانٌ أَفْضَلُ مِنْ هٰذا ٱلمَكانِ ؛ كَما أَنَّ جُون أَفْضَلُ سُوّاسِ ٱلخَيْلِ في هٰذِهِ ٱلبِلادِ . هٰذا إِلى جانِبِ جيمْس الَّذي يُعَدُّ أَحْسَنَ الصِّبْيَةِ . أَمّا السَّيِّدُ غُورْدُون فَهُوَ أَحْسَنُ أَصْحابِ ٱلجِيادِ . نَعَمْ ، إِنَّ هٰذا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُغَيِّرَ مِنْ طِباعِ جِنْجَر أَثْناءَ وُجودِها هُنا .»

اَلفَصْلُ آلرَّابِعُ

بَدَأْتُ بِدايَةً طَيِّبَةً

كانَ اسْمُ رَئيسِ سُوّاسِ آلخَيْلِ جُون مائلِي ، وَ كانَ يَسْكُنُ مَعَ زَوْجَتِهِ وَ ابْنِهِ آلوَحيدِ في مَنْزِلٍ صَغيرٍ على مَقْرُبَةٍ مِنْ حَظيرةِ آلجِيادِ .

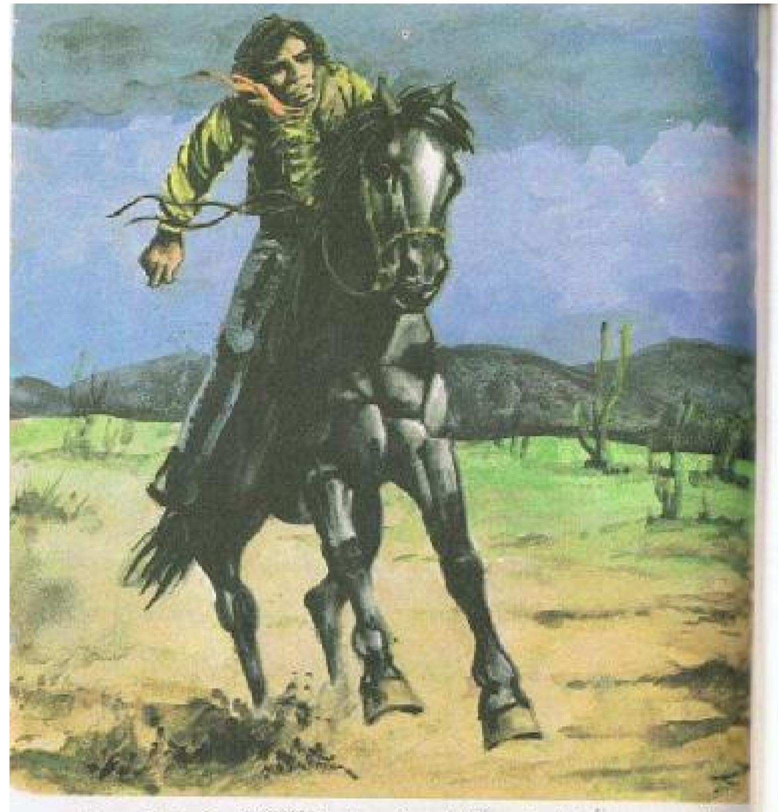
في صَباحِ آليَوْمِ آلتّالي ، حَضَرَ جُون وَ اصْطَحَبَني إلى آلحَظيرةِ وَاعْتَنى بي . وَ عَمِلَ بِكُلِّ جِدٍّ لِيُنَظِّفَ شَعْرِي وَ يُجَمِّلَني ، ثُمَّ جاءَ السَّيِّدُ غوردُون وَ نَظَرَ إليَّ قائِلًا :

« إنَّهُ يَبْدو مُمْتازًا . وَ كُنْتُ أَوَدُّ أنْ أُجَرِّبَهُ بِنَفْسي صَباحَ آليَوْمِ ، وَ لٰكِنِّي مَشْغولٌ ، لِذا ارْكَبْهُ أَنْتَ يا جُون ، وَ قُلْ لي رَأْيَكَ فيهِ . »

وَضَعَ جُون السَّرْجَ على ظَهْري ، وَ لٰكِنَّهُ وَجَدَهُ صَغيرًا ، فَغَيَّرَهُ ، ثُمَّ انْطَلَقْنا : وَجَدْتُ أنَّ جُون فارِسٌ ماهِرٌ جِدًّا ، وَ كُنْتُ أَعْرِفُ ما يُريدُهُ مِنّي .

سِرْتُ مَسافَةً على الطَّريقِ وَ رَكَضْتُ مَسافَةً أُخْرى . وَ حاوَلْتُ أنْ أَجْعَلَهُ يَهْوى رُكوبي . قادَني بَعيدًا عَنِ آلطَّريقِ إلى أَرْضٍ فَسيحَةٍ بِها آلكَثيرُ مِنَ آلحَشائِشِ وَ بَعْضُ آلأَشْجارِ . وَلَمّا أَرادَ مِنّي أنْ أَعْدُوَ عَدَوْتُ بِكُلِّ سُرْعَةٍ . وَقَدْ أَجَدْتُ آلعَدْوَ ، وَ سُرِرْتُ لِذٰلِكَ سُرورًا بالِغًا ، وَ أَظُنُّ أنَّ جُون سَعِدَ بِذٰلِكَ أَيْضًا . عِنْدَما رَجَعْنا إلى آلمَزْرَعَةِ سَأَلَ آلسَّيِّدُ غوردُون آلسّائِسَ جُون عَنّي قائِلًا : « كَيْفَ حالُ آلجَوادِ يا جُون ؟ »

أَجابَهُ قائِلًا : « إنَّهُ مُمْتازٌ ، بَلْ إنَّهُ جَوادٌ رائِعٌ يَجْري كَالطَّيْرِ ، وَ يُجيدُ



آلعَدْوَ . وَ إذا حَرَّكْتَ آلعِنانَ قَليلًا عَرَفَ ما تُريدُهُ أنْ يَفْعَلَهُ ، فَيَقِفَ أوْ يَنْعَطِفَ يَمينًا أوْ شِمالًا . وَ يَبْدو أنَّهُ كانَ دائِمًا مَوْضِعَ عَطْفِ آلجَميعِ ، لِهٰذا فَإنَّهُ لا يَخْشى أَحَدًا وَ لا يَخافُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ . »

قالَ آلسَّيِّدُ غوردُون : « يُسْعِدُني أنْ أَسْمَعَ ذٰلِكَ ، وَ سَوْفَ أُجَرِّبُهُ بِنَفْسي غَدًا . »

فِي صَباحِ ٱلْيَوْمِ ٱلتّالي نَظَّفَ جُون جِلْدي بِٱلفِرْجَوْنِ ، وَوَضَعَ ٱلسَّرْجَ على ظَهْري وَاصْطَحَبَني مِنَ ٱلحَظيرةِ إلى ٱلمَنْزِلِ .

تَذَكَّرْتُ ما كانَتْ تَقولُهُ لي أُمّي ، لِذا حَرَصْتُ على أَنْ أَعْمَلَ كُلَّ ما كانَ يَطْلُبُهُ مِنّي ٱلسَّيِّدُ غُورْدُون . فَقَدْ كانَ ماهِرًا في رُكُوبِ ٱلجِيادِ ، عَطوفًا إلى دَرَجةٍ بَعيدةٍ .

عِنْدَما عادَ بِيَ ٱلسَّيِّدُ إلى ٱلبَيْتِ ٱلكَبيرِ كانَتْ زَوْجَتُهُ تَقِفُ بِٱلبابِ ، فَقالَتْ لَهُ : « حَسَنٌ يا عَزيزي : هَلْ أَعْجَبَكَ ٱلجَوادُ ؟ »

أَجابَها ٱلسَّيِّدُ غُورْدُون : « إنَّ ما قالَهُ جُون عَنْهُ صَحيحٌ تَمامًا . إنَّهُ أَحْسَنُ ما رَكِبْتُ مِنَ ٱلجِيادِ . » ثُمَّ سَأَلَها : « ماذا نُسَمّيهِ ؟ »

أَجابَتْهُ زَوْجَتُهُ : « إنَّهُ جَوادٌ أَسْوَدُ جَميلٌ . وَيُمْكِنُ أَنْ نُسَمِّيَهُ ٱلجَمالَ ٱلأَسْوَدَ ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ »

قالَ زَوْجُها : « ٱلجَمالُ ٱلأَسْوَدُ ! نَعَمْ ، نَعَمْ ! في رَأْيي إنَّهُ اسْمٌ جَميلٌ . »

حَضَرَ جُون لِيَقُودَني إلى ٱلحَظيرةِ ، فَقالَ لَهُ ٱلسَّيِّدُ غُورْدُون : « لَقَدْ أَطْلَقَتْ زَوْجَتي عَلى ٱلجَوادِ اسْمَ ٱلجَمالِ ٱلأَسْوَدِ . »

سُرَّ جُون بِذٰلِكَ سُرورًا بالِغًا ، وَقالَ لي وَهُوَ يَقُودُني :

« هَيّا بِنا أَيُّها ٱلجَمالُ ٱلأَسْوَدُ . إنَّكَ فِعْلًا ٱلجَمالُ بِعَيْنِهِ – كَما أَنَّ هٰذا اسْمٌ لَطيفٌ . »

ٱلفَصْلُ ٱلخامِسُ

أَصْدِقائي ٱلجُدُدُ

أَحَبَّني جُون كَثيرًا ، وَكانَ سائِسَ خَيْلٍ مُمْتازًا . وَقَدْ حَرَصَ على أَنْ يَجْعَلَ شَعْرِيَ ٱلأَسْوَدَ يَبْدو في أَجْمَلِ مَنْظَرٍ . وَكانَ يَفْحَصُ قَوائِمي كُلَّ يَوْمٍ ، وَيَعْرِفُ إذا كانَتْ أَيٌّ مِنْها تُؤْلِمُني ، فَيَقُومُ بِمَسْحِها بِشَيْءٍ في يَدِهِ . وَكانَ يَتَحَدَّثُ مَعي كَثيرًا ، وَلٰكِنَّني لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ كُلَّ كَلِماتِهِ . وَلٰكِنْ بَعْدَ فَتْرةٍ مِنَ ٱلزَّمَنِ صِرْتُ أَعْرِفُ ما يَدورُ بِفِكْرِهِ . وَقَدْ أَحْبَبْتُ جُون ماثِلي حُبًّا بالِغًا .

أَحْبَبْتُ جِيمْس هَوارْد أَيْضًا ، وَهوَ ٱلصَّبِيُّ ٱلَّذي يَعْمَلُ بِٱلحَظيرةِ . وَقَدْ تَعَلَّمَ مِنْ جُون كَيْفَ يَكُونُ رَقيقًا في تَعامُلِهِ مَعَ ٱلجِيادِ . وَكانَ يُساعِدُ جُون في ٱلعِنايةِ بي ، وَقَدْ دَلَّهُ جُون عَلى أَجْزاءِ جِسْمِ ٱلحِصانِ ٱلَّتي يُمْكِنُ أَنْ تُؤْلِمَهُ إذا ما دُلِّكَتْ بِشِدَّةٍ . وَعَرَّفَهُ أَيْضًا ٱلأَجْزاءَ ٱلَّتي إذا ما رَبَّتَ عَلَيْها ٱلسّائِسُ أَوْ دَلَّكَها شَعَرَ ٱلحِصانُ بِٱلرّاحةِ .

وَبَعْدَ بِضْعةِ أَيّامٍ خَرَجْتُ لِأُشارِكَ جِنْجَر في جَرِّ إحْدى ٱلعَرَباتِ . وَكُنْتُ خائِفًا مِنْها ، لِأَنَّها رَفَعَتْ أُذُنَيْها إلى ٱلخَلْفِ عِنْدَما قادُوني إلَيْها ، وَلٰكِنَّها وَقَفَتْ ساكِنةً بَيْنَما كانُوا يَضَعُونَ طَقْمَ ٱلجَرِّ فَوْقي وَأَنا بِجِوارِها .

تَوَلّى جُون قِيادَتَنا ، وَعَمِلْنا بِكُلِّ جِدٍّ ، فَلَمْ تَكُنْ جِنْجَر بِٱلفَرَسِ ٱلكَسولِ ، بَلْ كانَتْ تَجُرُّ ٱلعَرَبةَ بِنَفْسِ ٱلقُوَّةِ ٱلَّتي أَجُرُّ أَنا بِها عِنْدَما كُنّا



تُصْعِدُ تَلًّا مِنَ ٱلتِّلالِ ، بَلْ كانَتْ دائِمًا عَلى ٱسْتِعْدادٍ لِأَنْ تَزيدَ مِنْ سُرْعَتِها . فَمِنَ ٱلْمَعْروفِ أَنَّ ٱلْكَثيرَ مِنَ ٱلْجِيادِ لا تُسْرِعُ ٱلْخُطى إِلّا إِذا ضَرَبَها ٱلسّائِقُ بِسَوْطِهِ ، أَمّا جِنْجَر فَكانَتْ مِثْلي ، إِذْ كُنّا نَجْري بِأَسْرَعِ ما نَسْتَطيعُ بِمُجَرَّدِ أَنْ يَطْلُبَ مِنّا ٱلسّائِقُ ذٰلِكَ . وَلَمْ يَكُنْ جُون يُحِبُّ أَنْ يَسْتَعْمِلَ ٱلسَّوْطَ ، فَلَمْ يَضْرِبْنا بِهِ ، وَعَمِلْنا مَعَهُ بِكُلِّ جِدٍّ .

بَعْدَ أَنْ خَرَجْتُ مَعَ جِنْجَر عِدَّةَ مَرّاتٍ لِجَرِّ ٱلْعَرَبَةِ تَوَطَّدَتْ أَواصِرُ ٱلصَّداقَةِ بَيْنَنا ، وَأَحْبَبْنا مِرِيلِغْز حُبًّا جَمًّا . فَقَدْ كانَ جَوادًا شُجاعًا ، وَكانَتِ ٱبْنَتا

ٱلسَّيِّدِ ٱلصَّغيرَتانِ تُحِبّانِ رُكوبَهُ دونَ أَنْ تَخافا ٱلسُّقوطَ مِنْ فَوْقِ ظَهْرِهِ .

أَمّا زَوْجَةُ ٱلسَّيِّدِ غُورْدُون فَقَدْ أَحَبَّتْنا نَحْنُ ٱلثَّلاثَةَ وَأَحْبَبْناها .

كانَ ٱلسَّيِّدُ غُورْدُون حَريصًا عَلى أَنْ يَمْنَحَ مَنْ يَعْمَلونَ مَعَهُ يَوْمًا لِلرّاحَةِ مِنَ ٱلْعَمَلِ كُلَّ أُسْبوعٍ ، وَكانَ لِجِيادِهِ ٱلْحَقُّ نَفْسُهُ . وَكانوا في أَيّامِ ٱلْآحادِ يَقودونَنا إِلى حَقْلٍ غَنِيٍّ بِٱلْعُشْبِ ٱلْأَخْضَرِ ٱلْجَميلِ ، وَنَظَلُّ هُناكَ طَوالَ ٱلْيَوْمِ دونَ أَعِنَّةٍ أَوْ سُروجٍ وَكُنّا نَجْري وَنَلْعَبُ في سَعادَةٍ ، وَنَقِفُ تَحْتَ ٱلْأَشْجارِ وَنَقْضي ٱلْوَقْتَ في سَرْدِ ٱلْقِصَصِ .

اَلفَصلُ اَلسّادِسُ

اَلجِسْرُ

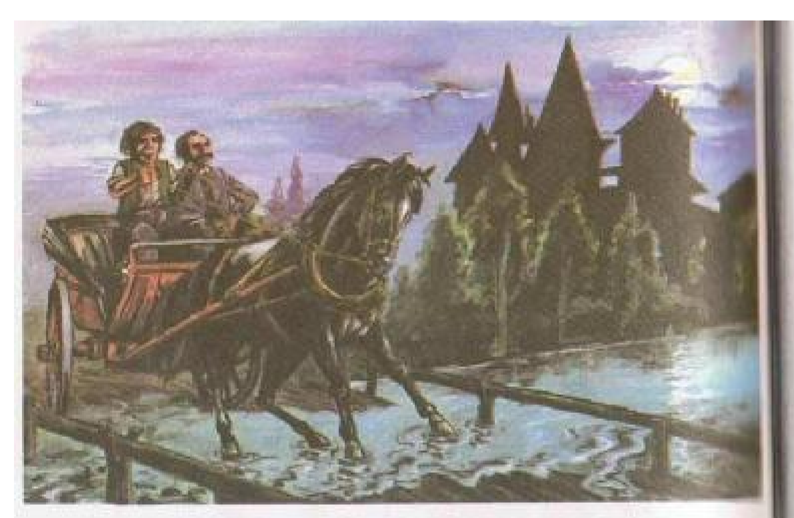
في يَوْمٍ مِنْ أَيّامِ شَهْرِ نوفَمْبِرَ ، رَغِبَ ٱلسَّيِّدُ في زِيارَةِ عَدَدٍ مِنَ ٱلرِّجالِ في بَلْدَتِهِ . كانَتِ ٱلرِّحْلَةُ إلى هُناكَ طَويلَةً فَرَبَطَني جُون إلى عَرَبَةٍ صَغيرَةٍ ذاتِ عَجَلَتَيْنِ ، لا يَجِدُ ٱلجَوادُ في جَرِّها صُعوبَةً تُذْكَرُ . وَ كانَتْ عَجَلَتا ٱلعَرَبَةِ كَبيرَتَيْنِ مِمّا جَعَلَها تَسيرُ في سُهولَةٍ وَ سُرْعَةٍ .

تَوَلّى جُون مالِلي قِيادَةَ ٱلعَرَبَةِ بَيْنَما جَلَسَ سَيِّدي إلى جِوارِهِ . كانَ ٱلمَطَرُ يَهْطِلُ بِغَزارَةٍ ، وَ ٱلطَّقْسُ رَديئًا ، وَ ٱلطَّريقُ يَمُرُّ في أَحَدِ ٱلمَواضِعِ فَوْقَ ٱلنَّهْرِ عَبْرَ جِسْرٍ خَشَبِيٍّ . وَ كانَتِ ٱلمِياهُ تَمْلَأُ ٱلنَّهْرَ وَ تَفيضُ لِتُغَطِّيَ بَعْضَ جَوانِبِ ٱلجِسْرِ . وَلٰكِنَّنا رَغْمَ ذٰلِكَ كُنّا نَسْتَطيعُ أَنْ نَتَبَيَّنَ جانِبَيِ ٱلجِسْرِ ٱلمُشَيَّدَيْنِ مِنَ ٱلخَشَبِ ، فَضْلًا عَنْ أَنَّ ٱلجِسْرَ كانَ ثابِتًا لا يَهْتَزُّ تَحْتَ قَوائِمي ، وَ لِهٰذا لَمْ أَشْعُرْ بِٱلخَوْفِ عِنْدَما عَبَرْناهُ .

اقْتَضَتْ ظُروفُ عَمَلِ سَيِّدي أَنْ يَبْقى في بَلْدَتِهِ لِبِضْعِ ساعاتٍ . وَ بَدَأْنا رِحْلَةَ ٱلعَوْدَةِ في ٱلوَقْتِ ٱلَّذي هَبَطَ فيهِ ٱلظَّلامُ ، وَ كانَ ٱلمَطَرُ يَهْطِلُ .

قادَ سَيِّدي ٱلعَرَبَةَ ، وَ عِنْدَما وَصَلْنا إلى ٱلجِسْرِ لَمْ يَجْذِبِ ٱلعِنانَ عَلى ٱلإطْلاقِ ، لِذا فَإنَّني بَدَأْتُ آخُذُ طَريقي بِٱلعَرَبَةِ لِنَعْبُرَ ٱلنَّهْرَ . وَ ما إنْ وَطِئَتْ قَوائِمي ٱلجِسْرَ حَتّى تَبَيَّنْتُ أَنَّهُ يَجِبُ أَلّا نَعْبُرَهُ ، فَتَوَقَّفْتُ عَلى ٱلفَوْرِ .

قالَ سَيِّدي : « أُعْبُرْ ! أُعْبُرْ ! لا تَخَفْ ! إنَّ ٱلماءَ ٱلَّذي يُغَطّي ٱلجِسْرَ قَليلٌ . » وَ لَمَسَني بِٱلسَّوْطِ ، وَلٰكِنَّني ظَلَلْتُ واقِفًا في مَكاني .



قالَ جُون : « إنَّهُ خائِفٌ مِنْ شَيْءٍ ما . » وَ قَفَزَ مِنَ ٱلعَرَبَةِ وَ تَقَدَّمَ حَتّى وَصَلَ إلى رَأْسي وَ قالَ لي : « هَيّا ! تَقَدَّمْ أَيُّها ٱلجَمالُ ! » وَ حاوَلَ أَنْ يَقودَني فَوْقَ ٱلجِسْرِ ، وَلٰكِنَّني لَمْ أَتَحَرَّكْ . فَقَدْ كُنْتُ أَشْعُرُ أَنَّهُ يَنْبَغي أَلّا أَسيرَ فَوْقَ هٰذا ٱلجِسْرِ .

كانَ عَلى ٱلضِّفَّةِ ٱلأُخْرى مِنَ ٱلنَّهْرِ بَيْتٌ يَسْكُنُهُ رَجُلٌ يَعْمَلُ في صِيانَةِ هٰذا ٱلطَّريقِ . وَ ما إنْ سَمِعَ أَصْواتَنا وَ رَأى ضَوْءَ ٱلعَرَبَةِ مِنْ نافِذَتِهِ حَتّى خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ ، وَ هُوَ يَحْمِلُ مِصْباحًا وَ يَصيحُ قائِلًا : « تَوَقَّفوا ! انْتَظِروا ! » وَلَمّا وَصَلَ إلى ٱلجِسْرِ صاحَ قائِلًا :

« لَقَدْ سَقَطَ جُزْءٌ مِنَ ٱلجِسْرِ في ٱلنَّهْرِ ، وَ جَرَفَتْهُ ٱلمِياهُ بَعيدًا . إنَّكُمْ لا

تَسْتَطِيعونَ أَنْ تَعْبُروهُ ، وَعَلَيْكُمْ أَنْ تُواصِلوا آلسَّيْرَ بِمُحاذاةِ آلنَّهْرِ حَتَّى تَصِلُوا إلى آلجِسْرِ آلتّالي . »

قالَ سَيِّدي : « شُكْرًا لله . »

أَمَّا جُون فَقالَ لي : « إِنَّكَ حَقًّا جَميلٌ . » وَقادَني بَعيدًا عَنِ آلجِسْرِ . صَمَتَ سَيِّدي وَجُون مالْلي لَحْظَةً ، وَنَحْنُ في طَريقِنا إلى آلجِسْرِ آلتّالي ، ثُمَّ أَخَذا يَتَحَدَّثانِ عَنْ حادِثَةِ آلجِسْرِ . وَقالَ سَيِّدي :

« إِنَّ آلإِنْسانَ يَعْرِفُ كَيْفَ يُفَكِّرُ وَكَيْفَ يُفَسِّرُ آلظَّواهِرَ ، لِأَنَّ اللهَ خَلَقَهُ بِهٰذِهِ آلقُدْرَةِ . أَمَّا آلجِيادُ وَغَيْرُها مِنَ آلحَيَواناتِ الصَّديقَةِ لِلْإِنْسانِ فَقَدْ خَلَقَها اللهُ بِصُورَةٍ أُخْرَى . فَهِيَ تَعْرِفُ أَشْياءَ كَثيرَةً بِآلغَريزَةِ وَدُونَ أَنْ تُفَكِّرَ ، وَلِهٰذا فَإِنَّها تَتَمَكَّنُ في بَعْضِ آلأَحْيانِ مِنْ أَنْ تُنْقِذَ آلإِنْسانَ . »

قالَ جُون مُؤَيِّدًا سَيِّدَهُ : « نَعَمْ هٰذا صَحيحٌ . » ثُمَّ شَرَعَ يَحْكي قِصَصًا عَنْ بَعْضِ آلجِيادِ آلَّتي أَنْقَذَتْ أَصْحابَها .

عِنْدَما وَصَلْنا إلى آلمَزْرَعَةِ خَرَجَتْ زَوْجَةُ آلسَّيِّدِ غُورْدُون مِنَ آلبَيْتِ وَقالَتْ : « كَمْ أَنا سَعيدَةٌ بِعَوْدَتِكُمْ أَخيرًا . هَلْ وَقَعَ مَكْرُوهٌ لَكُمْ ؟ »

أَجابَها آلسَّيِّدُ غُورْدُون : « لا يا عَزيزَتي ، وَلٰكِنَّنا كِدْنا نَلْقَى حَتْفَنا ، لَوْلا أَنَّ آلجَمالَ آلأَسْوَدَ أَنْقَذَنا . » وَرافَقَها إلى داخِلِ آلبَيْتِ وَهُوَ يَقُصُّ عَلَيْها ما حَدَثَ عِنْدَ آلجِسْرِ .

قادَني جُون إلى آلحَظيرَةِ وَفَكَّ عَنّي طَقْمَ جَرِّ آلعَرَباتِ . وَيالَهُ مِنْ عَشاءٍ طَيِّبٍ ذٰلِكَ آلَّذي قَدَّمَ إِلَيَّ في تِلْكَ آللَّيْلَةِ ! كَما لَقيتُ مِنْ جُون مَزيدًا مِنَ آلرِّعايَةِ ، وَفَعَلَ كُلَّ ما يَسْتَطيعُ لِيُعَبِّرَ لي عَنْ شُكْرِهِ .

الفَصْلُ آلسّابِعُ
جِيمْس هَوازْد

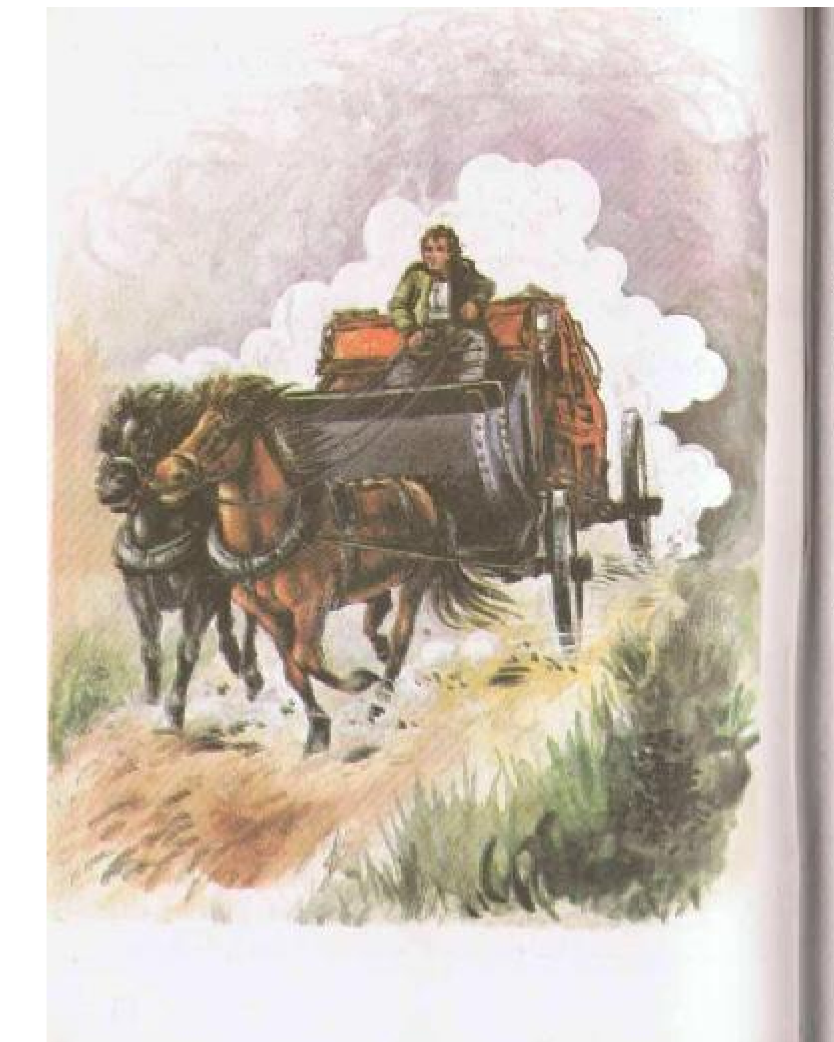
في يَوْمٍ مِنَ آلأَيّامِ جاءَ آلسَّيِّدُ إلى آلحَظيرَةِ وَسَأَلَ جُون مالْلي : « كَيْفَ يُؤَدّي جِيمْس عَمَلَهُ يا جُون ؟ »

أَجابَهُ جُون : « بِصُورَةٍ حَسَنَةٍ جِدًّا . لَقَدْ تَعَلَّمَ آلكَثيرَ ، وَهُوَ عَطُوفٌ عَلى آلجِيادِ ، وَهِيَ تُحِبُّهُ . إِنَّهُ يَتَعَلَّمُ آلآنَ كَيْفَ يَقُودُها ، وَسُرْعانَ ما سَيُصْبِحُ سائِقًا مُمْتازًا . »

في هٰذِهِ آللَّحْظَةِ حَضَرَ جِيمْس ، فَقالَ لَهُ آلسَّيِّدُ : « يا جِيمْس ! لَقَدْ تَسَلَّمْتُ خِطابًا مِنْ صَديقِي آلسَّيِّدِ كليفُورْد وِلْيامْز ، يَطْلُبُ فيهِ مِنّي أَنْ أُرَشِّحَ لَهُ شابًّا يَعْمَلُ عِنْدَهُ سائِسًا لِجِيادِهِ ، وَسَيَدْفَعُ لِهٰذا آلشّابِّ أَجْرًا مُجْزِيًا ، وَسَيُخَصِّصُ لَهُ غُرْفَةً لِسُكْناهُ ، وَسَيُوَفِّرُ لَهُ ما يَحْتاجُهُ مِنْ مَلابِسَ لِلْعَمَلِ بِآلحَظيرَةِ . وَسَيَكُونُ هُناكَ عَدَدٌ مِنَ آلصِّبْيَةِ لِمُساعَدَتِهِ . إِنَّني لا أَوَدُّ أَنْ أَفْقِدَكَ ، كَما أَنَّ جُون سَيَحْزَنُ لِفِراقِكَ . »

قالَ جُون مُؤَيِّدًا : « نَعَمْ ، سَوْفَ أَحْزَنُ لِذٰلِكَ ، وَلٰكِنّي لَنْ أُحاوِلَ أَنْ أَمْنَعَهُ أَوْ أَعْتَرِضَ طَريقَهُ . »

قالَ آلسَّيِّدُ غُورْدُون : « نَعَمْ سَوْفَ نَحْزَنُ جَميعًا لِفِراقِكَ ، وَلٰكِنَّنا نَتَمَنّى لَكَ آلخَيْرَ . وَعَلَيْكَ أَنْ تُناقِشَ مَعَ والِدِكَ هٰذا آلمَوْضوعَ وَقْتَ تَناوُلِ آلغَداءِ ، ثُمَّ أَبْلِغْني بَعْدَ ذٰلِكَ إِذا كُنْتَ تَرْغَبُ في أَنْ أُرَشِّحَكَ لِلْعَمَلِ لَدى آلسَّيِّدِ





كليفورد وليامز . »

عِنْدَما عَرَفْنا أَنَّ جيمْس يَرْغَبُ في أَنْ يَذْهَبَ ويَتْرُكَنا شَعَرْتُ بِالْحُزْنِ ، وَكانَ ذٰلِكَ هُوَ شُعورَ جِنْجَر وَ مِريلِغِز أَيْضًا . وَ لٰكِنَّنا كُنّا نَعْرِفُ أَنَّ هٰذا في صالِحِهِ .

قَبْلَ أَنْ يَتْرُكَنا جيمْس بِسِتَّةِ أَسابيعَ ظَلَلْنا نَعْمَلُ مَعَهُ بِكُلِّ جِدٍّ ، فَقَدْ كانَ يُريدُ أَنْ يَكونَ سائِقًا مُمْتازًا ، وَكانَ كُلٌّ مِنَ السَّيِّدِ غورْدون وَجون مالِلي يَرْغَبانِ في مُساعَدَتِهِ لِذا فَقَدْ كانَتِ الْعَرَبَةُ تَخْرُجُ كُلَّ يَوْمٍ ، وَكُنْتُ أَنا وَ جِنْجَر نَجُرُّها ، وَيَقومُ جيمْس بِقِيادَتِها ، وَكانَ يَتَعَلَّمُ بِسُرْعَةٍ . وَقَدْ جَلَسَ جون في أَوَّلِ الْأَمْرِ إِلى جِوارِهِ لِمُدَّةِ خَمْسَةِ أَسابيعَ حَتّى صارَ يُحْسِنُ الْقِيادَةَ وَحْدَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ .

كانَ سَيِّدي يَقولُ مِنْ وَقْتٍ لِآخَرَ : « يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ إِلى الْمَدينَةِ . » فَكُنّا نَذْهَبُ دائِمًا في أَوْقاتٍ غَيْرِ مُناسِبَةٍ ، فَنَجِدُ هُناكَ أَعْدادًا كَبيرَةً مِنَ الْعَرَباتِ بِأَنْواعِها الْمُخْتَلِفَةِ ، وَالْكَثيرَ مِنْ راكِبي الْجِيادِ وَ الَّذينَ كانوا يَتَوَجَّهونَ إِلى مَحَطّاتِ الْقِطاراتِ ، أَوْ يَعْبُرونَ الْجِسْرَ وَهُمْ في طَريقِ عَوْدَتِهِمْ إِلى مَنازِلِهِمْ .

ذاتَ يَوْمٍ قالَ السَّيِّدُ غورْدون لِجون مالِلي : « يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ مَعَ زَوْجَتي إِلى الْمَدينَةِ الْمُجاوِرَةِ غَدًا . سَوْفَ نَذْهَبُ بِالْعَرَبَةِ الَّتي سَيَجُرُّها الْجَمالُ الْأَسْوَدُ وَمَعَهُ جِنْجَر ، وَ سَيَتَوَلّى جيمْس الْقِيادَةَ . »

كانَتِ الرِّحْلَةُ إِلى هٰذِهِ الْمَدينَةِ تَعْني السَّفَرَ مَسافَةَ خَمْسَةٍ وَسَبْعينَ

كيلومترًا . وَفي ٱلْيَوْمِ ٱلأَوَّلِ مِنَ ٱلرِّحْلَةِ قَطَعْنا خَمْسينَ كيلومِترًا ، ثُمَّ تَوَقَّفْنا لِنَبيتَ في أَكْبَرِ فَنادِقِ ٱلْبَلْدَةِ .

أَجادَ جيمْس قِيادَتَنا طَوالَ ٱلرِّحْلَةِ ، فَكُنّا إِذا صَعِدْنا تَلًّا تَوَقَّفْنا أَعْلاهُ قَليلًا ، وَلَمْ يَكُنْ يُسْرِعُ في قِيادَتِهِ عِنْدَ نُزولِنا مِنْهُ . وَكانَ يَخْتارُ أَفْضَلَ ٱلأَماكِنِ مِنَ ٱلطَّريقِ ٱلَّتي تُناسِبُ قَوائِمَنا حَتّى نَسيرَ عَلَيْها . وَتِلْكَ أُمورٌ تُهِمُّ كُلَّ جَوادٍ ، كَما أَنَّ ٱلْجَوادَ يَسْعَدُ لِسَماعِ ٱلْكَلِماتِ ٱلرَّقيقَةِ ٱلطَّيِّبَةِ .

في ٱلْفُنْدُقِ لَقينا كُلَّ عِنايَةٍ ، كَما قُدِّمَ لَنا هُناكَ أَفْضَلُ أَنْواعِ ٱلطَّعامِ . رَبَّتَ جيمْس عَلَيْنا قائِلًا : « سَعِدْتُما مَساءً ، وَأَتَمَنّى لَكُما ، أَنْتِ ياجِنْجَر وَيا أَيُّها ٱلْجَمالُ ٱلأَسْوَدُ نَوْمًا هادِئًا . » ثُمَّ تَرَكَنا وَٱنْصَرَفَ .

اَلْفَصْلُ ٱلثّامِنُ

اَلنّارُ

بَعْدَ وُصولِنا ٱلْفُنْدُقَ بِساعَةٍ تَقْريبًا ، قَدِمَ إِلى هُناكَ رَجُلٌ يَمْتَطي صَهْوَةَ جَوادٍ ، فَقامَ أَحَدُ ٱلعامِلينَ بِٱلْفُنْدُقِ بِإِحْضارِ ٱلْجَوادِ إِلى ٱلْحَظيرَةِ .

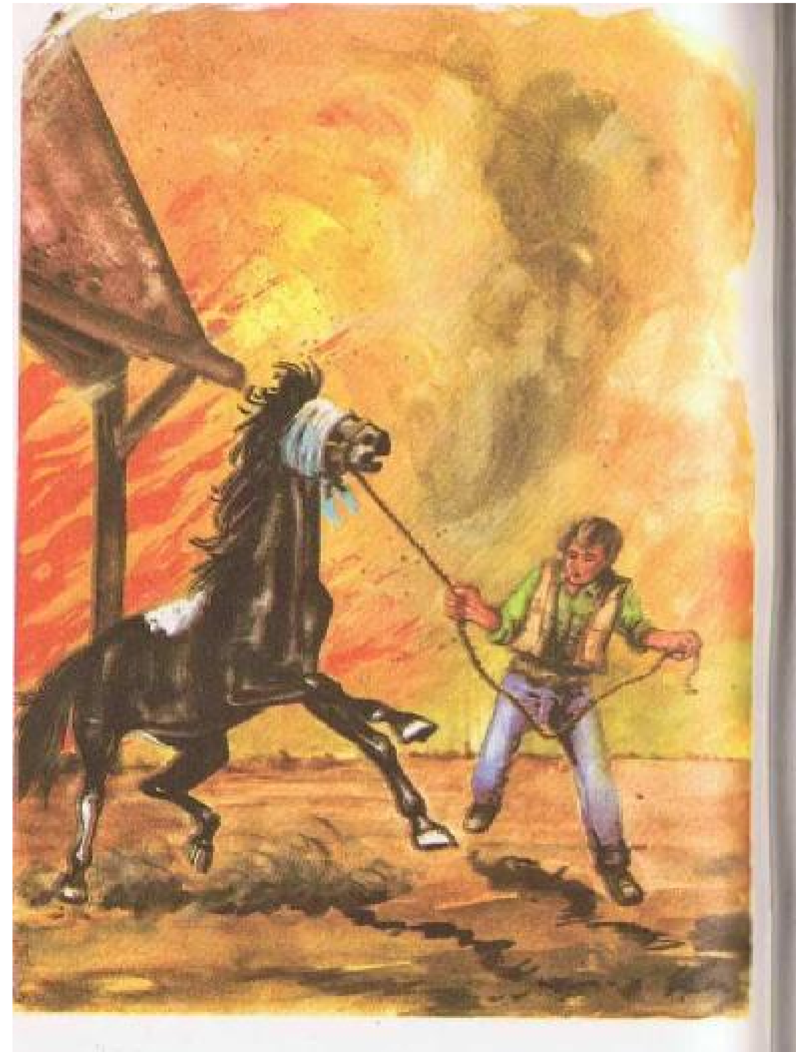
لَمْ يَكُنْ في ٱلْمَزْرَعَةِ أَحَدٌ يُدَخِّنُ عَلى ٱلإِطْلاقِ في ٱلْحَظيرَةِ ، أَمّا هُنا فَكانَ هٰذا ٱلرَّجُلُ يُدَخِّنُ .

وَعِنْدَما أَدْخَلوا ٱلْجَوادَ ٱلْحَظيرَةَ اقْتادوهُ إِلى مَكانٍ لاطَعامَ فيهِ ، لِهٰذا فَإِنَّ سائِسَ ٱلْحَظيرَةِ خَرَجَ لِيُحْضِرَ لَهُ بَعْضَ ٱلطَّعامِ ، وَكانَ طَعامُ ٱلْخَيْلِ يوضَعُ فَوْقَ سَطْحِ ٱلْحَظيرَةِ ، لِذا فَقَدْ صَعِدَ هٰذا ٱلسّائِسُ فَوْقَ ٱلْحَظيرَةِ ، وَأَحْضَرَ بَعْضَ ٱلطَّعامِ وَأَلْقاهُ لِلْجَوادِ وَٱنْصَرَفَ .

نِمْتُ قَليلًا ، وَاسْتَيْقَظْتُ وَأَنا أَشْعُرُ بِبَعْضِ ٱلْكَآبَةِ ٱلَّتي لَمْ أَعْرِفْ لَها سَبَبًا ، وَسَمِعْتُ جِنْجَر تُحَرِّكُ قَوائِمَها ، ثُمَّ سَمِعْتُ أَنْفاسَها وَهِيَ تَتَشَمَّمُ في ٱلْهَواءِ . وَبَعْدَ ذٰلِكَ شَمَمْتُ رائِحَةَ دُخانٍ أَخَذَ يَتَزايَدُ حَتّى مَلأَ ٱلْحَظيرَةَ كُلَّها . وَسَمِعْتُ صَوْتًا فَوْقَ رَأْسي ، وَكانَ صَوْتَ شَيْءٍ يَحْتَرِقُ .

في هٰذا ٱلْوَقْتِ اسْتَيْقَظَتْ كُلُّ ٱلْجِيادِ ٱلَّتي كانَتْ بِٱلْحَظيرَةِ ، وَبَدَأَتْ تَتَحَرَّكُ في مُحاوَلَةٍ مِنْها لِلْهَرَبِ مِنْ هٰذا ٱلدُّخانِ ، وَشَعَرْتُ بِخَوْفٍ لَمْ أَعْرِفْ لَهُ مَثيلًا مِنْ قَبْلُ ، وَلا عَرَفْتُ لَهُ مَثيلًا مِنْ بَعْدُ .

أَخيرًا جاءَ سائِسُ ٱلْفُنْدُقِ إِلى ٱلْحَظيرَةِ ، وَحاوَلَ أَنْ يُخْرِجَ ٱلْجِيادَ مِنْها ،



وَلٰكِنَّهُ كانَ بِدَوْرِهِ خائِفًا، وَحاوَلَ أَنْ يَتَصَرَّفَ بِسُرْعَةٍ مِمّا زادَ مِنْ خَوْفِنا، حَتّى إِنَّ كُلَّ ٱلْجِيادِ حَرَنَتْ، وَلَمّا جاءَ إِلَيَّ حاوَلَ أَنْ يَجْذِبَني وَيُخْرِجَني بِسُرْعَةٍ مِنَ ٱلْحَظيرَةِ، وَبَدَأَ يَجْذِبُ وَيَجْذِبُ وَلٰكِنّي حَرَنْتُ.

كانَ تَصَرُّفًا غَبِيًّا مِنّا، وَلٰكِنَّنا لَمْ نَكُنْ نَعْرِفُ هٰذا ٱلسّائِسَ، فَضْلًا عَنْ أَنَّهُ كانَ هُوَ نَفْسُهُ خائِفًا.

ازْدادَتْ كَثافَةُ ٱلدُّخانِ بِٱلْحَظيرَةِ، ثُمَّ رَأَيْنا أَلْسِنَةَ ٱلنّارِ ٱلْحَمْراءَ تَمْتَدُّ مِنَ ٱلسَّطْحِ فَوْقَ رُؤُوسِنا، وَسَمِعْنا مَنْ يَصْرُخُ: «ٱلنّارَ! ٱلنّارَ!»، وَأَقْبَلَتْ إِلى ٱلْحَظيرَةِ جُموعٌ مِنَ ٱلرِّجالِ.

اشْتَدَّ تَأَجُّجُ ٱلنّيرانِ. وَجاءَ جيمْس نَحْوَ رَأْسي، وَبَدَأَ يُحَدِّثُني كَما كانَ يُحَدِّثُني في ٱلصَّباحِ فَقالَ: «هَيّا أَيُّها ٱلْجَمالُ ٱلأَسْوَدُ! هَيّا بِنا نَتَصَرَّفُ! لا تَخَفْ، وَسِرْ مَعي! وَسُرْعانَ ما سَنَخْرُجُ مَعًا بَعيدًا عَنْ هٰذا ٱلدُّخانِ.»

وَرَفَعَ قِطْعَةً مِنَ ٱلْقُماشِ عَنْ رَقَبَتِهِ وَلَفَّها حَوْلَ رَأْسي فَغَطَّتْ عَيْنَيَّ، وَلَمْ أَعُدْ أَرى ٱلنّارَ، وَمِنْ ثَمَّ لَمْ أَعُدْ أَشْعُرُ بِٱلْخَوْفِ. وَاسْتَمَرَّ يُرَبِّتُ عَلى ظَهْري وَيَتَحَدَّثُ إِلَيَّ حَديثَ ٱلصَّديقِ إِلى ٱلصَّديقِ حَتّى خَرَجْنا مَعًا إِلى ٱلْهَواءِ ٱلنَّقِيِّ خارِجَ ٱلْحَظيرَةِ.

صاحَ جيمْس مُنادِيًا: «فَلْيَأْتِ إِلَيَّ أَحَدٌ وَيَأْخُذْ هٰذا ٱلْجَوادَ حَتّى أَذْهَبَ وَأُخْرِجَ بَقِيَّةَ ٱلْجِيادِ.»

جاءَ رَجُلٌ ضَخْمُ ٱلْجُثَّةِ وَاصْطَحَبَني، وَراحَ جيمْس يَجْري عائِدًا إِلى

الحَظيرةِ، وَلَمْ أَكُنْ سَعيدًا على الإطلاقِ لِرُؤْيَتي جيمْس يَعودُ إلى الحَظيرةِ الَّتي اشْتَعَلَتْ بِها النّارُ، فَأَخَذْتُ أَصْهِلُ. وَأَبْلَغَتْني جِنْجَر في اليَوْمِ التّالي أَنَّ صَهيلي هذا هُوَ الَّذي أَنْقَذَها، لِأَنَّها سَمِعَتْني وَأَنا أَصْهِلُ خارِجَ الحَظيرةِ؛ وَلَمّا كانَتْ على قَدْرٍ مِنَ الشَّجاعَةِ فَإِنَّها خَرَجَتْ مَعَ جيمْس.

كانَتِ الأَحْداثُ الكَثيرةُ تَتَوالى حَوْلي، وَكُنْتُ أَنْظُرُ طَوالَ الوَقْتِ إلى بابِ الحَظيرةِ الَّتي كانَتْ تَنْبَعِثُ مِنْها النّيرانُ، وَيَتَصاعَدُ مِنْها الدُّخانُ، ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتَ أَشْياءَ تَتَساقَطُ.

أَقْبَلَ سَيِّدي يَجْري نَحْوَ الحَظيرةِ وَيُنادي قائِلًا: «جيمْس! جيمْس هوارْد! هَلْ أَنْتَ هُناكَ؟»

لَمْ يَسْمَعْ سَيِّدي جَوابًا، وَلكِنَّني سَمِعْتُ أَصْواتًا تَدُلُّ عَلى أَنَّ هُناكَ أَشْياءَ تَتَساقَطُ داخِلَ الحَظيرةِ، وَشَعَرْتُ بِخَوْفٍ شَديدٍ عَلى جيمْس وَجِنْجَر.

وَكَمْ سَعِدْتُ، عِنْدَما شاهَدْتُ جيمْس يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ النّيرانِ وَمَعَهُ جِنْجَر مُتَّجِهَيْنِ نَحْوَنا، وَصاحَ السَّيِّدُ فَرِحًا: «يا لَكَ مِنْ شُجاعٍ!» ثُمَّ سَأَلَهُ: «هَلْ أُصِبْتَ؟»

لَمْ يَسْتَطِعْ جيمْس الكَلامَ بِسَبَبِ الدُّخانِ، وَلكِنَّهُ أَشارَ بِما يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ لَمْ يُصَبْ، وَرَبَّتَ عَلى رَقَبَةِ جِنْجَر في سَعادَةٍ.

الفَصْلُ التّاسِعُ

جو غرين الصَّغيرُ

عانى كُلٌّ مِنْ جيمْس وَجِنْجَر مِنَ الأَلَمِ طَوالَ اليَوْمِ التّالي، فَقَدْ أُصيبا بِحُروقٍ في أَجْزاءٍ عَديدَةٍ مِنْ جِسْمَيْهِما. وَأَضَرَّ بِهِما الدُّخانُ، لِذا بَقينا في ذلِكَ الفُنْدُقِ طَوالَ اليَوْمِ. وَبَعْدَ أَنْ قَضَيْنا لَيْلَةً أُخْرى تَحَسَّنَ حالُهُما، فَتَوَجَّهْنا إلى المَدينَةِ المُجاوِرَةِ في الصَّباحِ.

لَقَدْ فَعَلَ جيمْس ما في اسْتِطاعَتِهِ لِمُساعَدَةِ جِنْجَر حَتّى يَتَحَسَّنَ حالُها، وَاسْتَشارَ بَعْضَ سُوّاسِ الخَيْلِ مِمَّنْ لَدَيْهِمْ خِبْرَةٌ أَكْبَرُ في رِعايَةِ الخَيْلِ، فَأَمَدّوهُ بِالنُّصْحِ وَأَرْشَدوهُ إلى ما يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَهُ لِرِعايَتِها. وَعِنْدَما عُدْنا إلى المَزْرَعَةِ كُنّا جَميعًا في حالَةٍ أَفْضَلَ بِكَثيرٍ.

اسْتَمَعَ جون إلى القِصَّةِ الَّتي رَواها جيمْس هوارْد، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ وَإلى جِنْجَر وَقالَ لِجيمْس: «لَقَدْ أَحْسَنْتَ صُنْعًا يا جيمْس. إِنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ إِخْراجُ الجِيادِ مِنْ حَظيرةٍ تَحْتَرِقُ. إِنَّ أَحَدًا لا يَعْرِفُ لِماذا تَرْفُضُ الجِيادُ أَنْ تَتْرُكَ مَكانَها، خاصَّةً إذا لَمْ يَكُنْ هُناكَ شَخْصٌ تَعْرِفُهُ يَتَوَلّى قِيادَتَها وَإِخْراجَها مِنَ الحَظيرةِ، شَخْصٌ تَعْرِفُهُ وَتُحِبُّهُ.»

عِنْدَ خُروجِهِما مِنَ المَزْرَعَةِ قالَ جيمْس لِجون: «هَلْ تَعْرِفُ مَنْ سَيَحُلُّ مَحَلّي؟»

أَجابَهُ جون: «نَعَمْ إِنَّهُ جو غرين الصَّغيرُ، ابْنُ البُسْتانِيِّ.»

«جُوْ غرِيْن الصَّغيرُ ؟! وَلٰكِنَّهُ طِفْلٌ !»

«إنَّهُ يَبْلُغُ مِنَ العُمْرِ أرْبَعَةَ عشَرَ عامًا .»

«وَلٰكِنَّهُ صَغيرٌ جِدًّا !»

«إنَّهُ صَغيرٌ وَلٰكِنَّهُ سَريعُ الحَرَكَةِ ، وَلَدَيْهِ اسْتِعْدادٌ لِلتَّعلُّمِ . كَما أنَّهُ عَطُوفٌ ، وَسَيَسْعَدُ والِدُهُ عِنْدَما يَحْضُرُ لِيَعْمَلَ هُنا . وَأعْرِفُ أنَّ السَّيِّدَ غُورْدُون يَوَدُّ ذٰلِكَ .»

اسْتاءَ جِيمْس مِنْ هٰذا المَوْضوعِ وَقالَ : «إنَّهُ غُلامٌ لا بَأسَ بِهِ ، وَلٰكِنْ سَيَكونُ عَلَيْكَ أنْ تَقومَ بِالكَثيرِ مِنَ الأعْمالِ لِأنَّهُ مازالَ صَغيرًا .»

قالَ جُون : «حَسَنٌ ، إنَّني أُحِبُّ العَمَلَ ، وَما كُنْتُ أخافُ يَوْمًا مِنْ كَثْرَةِ العَمَلِ .»

قالَ جِيمْس : «أعْرِفُ ذٰلِكَ وَسَأُحاوِلُ دائِمًا أنْ أكونَ مِثْلَكَ .»

في اليَوْمِ التّالي جاءَ جُوْ إلى الحَظيرةِ حَتّى يَتَعَلَّمَ مِنْ جِيمْس قَدْرَ اسْتِطاعَتِهِ قَبْلَ أنْ يَتْرُكَ جِيمْس العَمَلَ . فَتَعَلَّمَ كَيْفَ يُنَظِّفُ الحَظيرةَ ، وَكَيْفَ يُطْعِمُنا ، وَبَدَأَ يُنَظِّفُ أطْقُمَ جَرِّ العَرَباتِ ، وَيُعاوِنُ في غَسْلِ العَرَباتِ وَتَنْظيفِها . وَلٰكِنَّهُ كانَ أصْغَرَ مِنْ أنْ يُنَظِّفَ جِسْمي وَجِسْمَ جِنْجَر بِالفِرْجَوْنِ ، لِذا عَلَّمَهُ جِيمْس كَيْفَ يَفْعَلُ ذٰلِكَ مَعَ مِريلِغز الَّذي لَمْ يَسْعَدْ بِهٰذا ، فَكانَ يَقولُ : «لِماذا تَتْرُكُ شُؤُوني في يَدِ صَبِيٍّ لا يَعْرِفُ شَيْئًا ؟»

وَلٰكِنَّهُ عادَ يَقولُ بَعْدَ أُسْبوعٍ : «أعْتَقِدُ أنَّ هٰذا الصَّبِيَّ سَوْفَ يَتَعَلَّمُ الكَثيرَ ، وَسَوْفَ أُساعِدُهُ عَلى أنْ يَتَعَلَّمَ بِسُرْعَةٍ .»

كانَ جُوْ غرِيْن الصَّغيرُ صَبِيًّا مَرِحًا ، وَكانَ يُغَنّي دائِمًا أثْناءَ العَمَلِ . وَسُرْعانَ ما بَدَأَ يَحْظى بِقَدْرٍ كَبيرٍ مِنْ حُبِّنا .

ٱلفَصْلُ ٱلعاشِرُ

زِيارَةُ ٱلطَّبيبِ

كانَتِ ٱلحَظيرَةُ مُزَوَّدَةً بِجَرَسٍ يُسْتَخْدَمُ لِاسْتِدْعاءِ ٱلسّائِسِ إِلى ٱلمَنْزِلِ . وَفي إِحْدى ٱللَّيالي ، بَعْدَ أَنِ انْصَرَفَ جيمْس ، رَنَّ هٰـذا ٱلجَرَسُ ، فَأَيْقَظَني رَنينُهُ . وَسَمِعْتُ صَوْتَ خُطواتِ جُون وَهُوَ يَجْري نَحْوَ ٱلبَيْتِ ، ثُمَّ وَهوَ يَعْدو عائِدًا إِلى ٱلحَظيرَةِ ، وَيَفْتَحُ بابَها . وَتَوَجَّهَ نَحْوي وَأَيْقَظَني قائِلًا : « يَجِبُ أَنْ نُسْرِعَ عَلى ٱلفَوْرِ . »

وَضَعَ ٱلسَّرْجَ عَلى ظَهْري بِسُرْعَةٍ ، وَقادَني إِلى ٱلبَيْتِ ، حَيْثُ كانَ ٱلسَّيِّدُ يَقِفُ بِٱلبابِ مُمْسِكًا بِمِصْباحٍ ، وَقالَ لِجُون : « اِذْهَبْ يا جُون بِٱلجَمالِ ٱلأَسْوَدِ إِلى ٱلمَدينَةِ ، وَبِأَقْصى ما يُسْتَطيعُ مِنْ سُرْعَةٍ . وَسَلِّمِ ٱلطَّبيبَ هوايْت هٰذِهِ ٱلرِّسالَةَ ، وَعُدْ بِهِ فَوْرًا لِأَنَّ زَوْجَتي مَريضَةٌ جِدًّا . »

تَناوَلَ جُون ٱلرِّسالَةَ ، وَانْطَلَقْنا . وَكانَ ٱلوَقْتُ لَيْلًا ، وَكُنْتُ أَعْرِفُ ٱلطَّريقَ ، وَكانَ خالِيًا مِنَ ٱلنّاسِ ٱلَّذينَ كانُوا قَدْ آوَوْا إِلى فِراشِهِمْ . وَانْطَلَقْتُ أَعْدو كَما لَمْ أَعْدُ في حَياتي مِنْ قَبْلُ .

عِنْدَما وَصَلْنا إِلى ٱلجِسْرِ جَذَبَ جُون ٱلعِنانَ قَليلًا ، فَغَيَّرْتُهُ رَكْضًا . وَهُنا لَمْ يَطْلُبْ مِنّي جون أَنْ أَعْدُوَ مَرَّةً أُخْرى ، وَلٰكِنَّني عَدَوْتُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسي لِنَصْعَدَ تِلالًا وَنَهْبِطَ أُخْرى ، مارَّيْنِ في ٱلطَّريقِ بِٱلحُقولِ وَٱلمَنازِلِ حَتّى وَصَلْنا إِلى ٱلمَدينَةِ .

تَوَقَّفْتُ أَمامَ مَنْزِلِ ٱلطَّبيبِ ٱلَّذي فَتَحَ نافِذَتَهُ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ وَقْعَ حَوافِري عَلى حِجارَةِ ٱلطَّريقِ . وَأَطَلَّ مِنَ ٱلنّافِذَةِ وَسَأَلَ جُون : « ماذا تُريدُ ؟ »

أَجابَهُ جُون : « إِنَّ زَوْجَةَ ٱلسَّيِّدِ غُورْدُون مَريضَةٌ جِدًّا ، وَيُريدُكَ سَيِّدي أَنْ تَأْتِيَ مَعي عَلى ٱلفَوْرِ . إِنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّها سَوْفَ تَموتُ إِنْ لَمْ تَحْضُرْ لِتَراها . وَإِلَيْكَ رِسالَتَهُ . »

قالَ ٱلطَّبيبُ : « سَوْفَ أَنْزِلُ حالًا . » وَأَغْلَقَ نافِذَتَهُ ، وَنَزَلَ إِلَيْنا ، وَأَخَذَ ٱلرِّسالَةَ وَقَرَأَها ثُمَّ قالَ :

« نَعَمْ يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ فَوْرًا . وَلٰكِنَّني لا أَدْري ماذا أَفْعَلُ ، فَجَوادي ٱلعَجوزُ كانَ يَعْمَلُ طَوالَ ٱليَوْمِ وَلا يَسْتَطيعُ أَنْ يُسْرِعَ بي إِلَيْها ، وَجَوادِيَ ٱلآخَرُ مَريضٌ . ماذا أَفْعَلُ ؟ هَلْ لي أَنْ آخُذَ جَوادَكَ ؟ »

أَجابَ جُون : « لَقَدْ قَطَعَ هٰـذا ٱلحِصانُ ٱلرِّحْلَةَ عَدْوًا ، وَلٰكِنَّني أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَسْتَطيعُ أَنْ يَعودَ بِكَ إِلى هُناكَ . »

قالَ ٱلطَّبيبُ : « سَأَكونُ مُسْتَعِدًّا حالًا . »

عادَ إِلى داخِلِ ٱلبَيْتِ ، وَوَقَفَ جُون إِلى جِواري وَرَبَّتَ عَلى رَقَبَتي ، وَكانَ جَسَدي ساخِنًا . وَخَرَجَ ٱلطَّبيبُ مُرْتَدِيًا مَلابِسَ ٱلرُّكوبِ وَفي يَدِهِ سَوْطٌ ، فَقالَ لَهُ جُون :

« لَسْتَ في حاجَةٍ إِلى اسْتِعْمالِ هٰـذا ٱلسَّوْطِ . إِنَّ ٱلجَمالَ ٱلأَسْوَدَ سَوْفَ يُسْرِعُ بِكَ قَدْرَ اسْتِطاعَتِهِ . »

شَكَرَهُ ٱلطَّبيبُ وَأَعْطاهُ ٱلسَّوْطَ ، وَتَحَدَّثَ إِلَيَّ قائِلًا : « وَٱلآنَ أَيُّها ٱلجَمالُ ٱلأَسْوَدُ — هَيّا بِنا . »

اَلفَصلُ الحادِيَ عشَرَ

إنْقاذُ ٱلسَّيِّدةِ

كانَ ٱلطَّبِيبُ أَضْخَمَ مِنْ جُون ، وَلَمْ يَكُنْ يُجِيدُ رُكوبَ ٱلخَيْلِ . غَيْرَ أَنّي بَذَلْتُ قُصارَى جَهْدي حَتّى كِدْتُ - عِنْدَ وُصولي إلى ٱلمَزْرَعةِ - أَسْقُطُ مِنَ ٱلإعْياءِ ؛ وَلٰكِنَّنا وَصَلْنا بِسُرْعةٍ بالِغةٍ . وَقَدْ سَمِعَنا سَيِّدي عِنْدَ وُصولِنا فاتَّجَهَ إلى ٱلبابِ وَاصْطَحَبَ ٱلطَّبِيبَ إلى داخِلِ ٱلبَيْتِ عَلى ٱلفَوْرِ .

كانَ جُو غرِين ٱلصَّغِيرُ يَنْتَظِرُ بِٱلبابِ أَيْضًا ، وَعادَ بي إلى ٱلحَظيرةِ . وَشَعَرْتُ بِٱلسَّعادةِ لِعَوْدَتي إلى بَيْتي . وَكانَ جِسْمي ساخِنًا جِدًّا ، وَكانَ ٱلعَرَقُ يَتَصَبَّبُ مِنْهُ وَيَنْسابُ عَلى قَوائِمي ، فَقَدْ رَكَضْتُ بِأَسْرَعِ مااسْتَطَعْتُ ، وَلَمْ أَكُنْ أَسْتَنْشِقُ مايَكْفِيني مِنَ ٱلهَواءِ .

مِسْكِينٌ جُو غرِين ! كانَ صَغيرًا ضَئِيلَ ٱلجِسْمِ ، وَلَمْ يَتَّسِعْ لَهُ ٱلوَقْتُ لِيَتَعَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَكانَ يُمْكِنُ لِوالِدِهِ أَنْ يُساعِدَهُ إلّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَوْجودًا في ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ .

رَغْمَ ذٰلِكَ فَقَدْ عَمِلَ جُو غرِين كُلَّ مافي اسْتِطاعَتِهِ مَعي ، فَقامَ بِتَدْليكِ قَوائِمي وَأَجْزاءٍ مِنْ جِسْمي ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَضَعِ ٱلغِطاءَ عَلَيَّ ، إذِ اعْتَقَدَ أَنَّ جِسْمي ساخِنٌ وَأَنّي لَسْتُ بِحاجةٍ إلى هٰذا ٱلغِطاءِ ، وَأَتى لي بِكَمِّيَّةٍ مِنَ ٱلماءِ لِأَشْرَبَ . وَكانَ ٱلماءُ بارِدًا وَمُنْعِشًا فَشَرِبْتُهُ كُلَّهُ ، ثُمَّ قَدَّمَ لِيَ ٱلطَّعامَ قائِلًا : «ٱلآنَ يُمْكِنُكَ أَنْ تَنامَ .» ثُمَّ تَرَكَني وَانْصَرَفَ .



عِنْدَما وَصَلَ جُون وَجَدَني مَرِيضًا . وَكانَ قَدْ عادَ سائِرًا عَلى قَدَمَيْهِ ، وَلٰكِنَّهُ جاءَ لِيَراني فَوْرَ عَوْدَتِهِ إلى ٱلبَيْتِ . وَكُنْتُ راقِدًا عَلى ٱلأَرْضِ ، فَجَلَسَ إلى جانِبي وَقالَ لي :

«أَيُّها ٱلمِسْكِينُ ، ماذا فَعَلْنا بِكَ ؟»

لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُخْبِرَهُ بِحالي وَلٰكِنَّهُ عَرَفَ بِنَفْسِهِ ، فَغَطّاني بِغِطاءَيْنِ أَوْ ثَلاثةٍ ، وَأَسْرَعَ إلى ٱلبَيْتِ لِيُحْضِرَ بَعْضَ ٱلماءِ ٱلسّاخِنِ وَيُعِدَّ لي شَرابًا مُناسِبًا . وَكانَ يَقُولُ غاضِبًا : «يالَهُ مِنْ غُلامٍ غَبِيٍّ ! لَمْ يُغَطِّ ٱلجَوادَ بِأَيِّ

غِطاءٍ ، وَقَدَّمَ لَهُ ماءً بارِدًا لِيَشْرَبَهُ !»

عافَيْتُ مِنَ آلمَرَضِ أَكْثَرَ مِن أُسْبوعٍ . وَكانَ جُون يَقْضي مَعي عِدَّةَ ساعاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ، وَيَأْتي لِيَراني مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثَ مَرّاتٍ كُلَّ لَيْلَةٍ . وَكانَ آلسَّيِّدُ غُورْدُون يَأْتي إِلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ أَيْضًا . وَذاتَ يَوْمٍ قالَ لي : «يا جَوادِيَ آلجَميلَ ، لَقَدْ أَنْقَذْتَ زَوْجَتي . نَعَمْ ، لَقَدْ أَنْقَذْتَ حَياتَها !»

وَكَمْ سَعِدْتُ لِسَماعِ هٰذِهِ آلكَلِماتِ ، فَقَدْ كُنّا جَميعًا نُحِبُّ زَوْجَةَ آلسَّيِّدِ غُورْدُون .

حَتّى آلطَّبيبُ هوايْت جاءَ بِنَفْسِهِ لِيَزورَني ذاتَ مَرَّةٍ أَثْناءَ وُجودِهِ في آلمَزْرَعَةِ ، وَرَبَّتَ عَلَيَّ وَهوَ يَقولُ لِجُون : «إِنَّ آلفَضْلَ في بَقاءِ زَوْجَةِ آلسَّيِّدِ غُورْدُون عَلى قَيْدِ آلحَياةِ لِلْيَوْمِ إِنَّما يَرْجِعُ إِلى هٰذا آلجَوادِ آلجَميلِ آلَّذي أَحْضَرَني إِلى هُنا بِسُرْعَةٍ .»

سَمِعْتُ جُون يَقولُ لِلسَّيِّدِ غُورْدُون : «لَمْ أَرَ في حَياتي جَوادًا يَعْدو بِمِثْلِ آلسُّرْعَةِ آلَّتي كانَ يَعْدو بِها آلجَمالُ آلأَسْوَدُ في تِلْكَ آللَّيْلَةِ ، حَتّى إِنَّني ظَنَنْتُ أَنَّهُ كانَ يَعْرِفُ حَقيقَةَ آلأَمْرِ .»

كُنْتُ أَعْرِفُ بِآلفِعْلِ حَقيقَةَ آلأَمْرِ ، إِذْ كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ آخُذَ جُون إِلى هُناكَ بِأَسْرَعِ ما أَسْتَطيعُ ، وَأَنَّ ذٰلِكَ كانَ مِنْ أَجْلِ زَوْجَةِ سَيِّدي آلعَزيزَةِ .

اَلفَصْلُ آلثّاني عَشَرَ
اِنْتِقالٌ آخَرُ

كُنْتُ سَعيدًا طَوالَ إِقامَتي في آلمَزْرَعَةِ لِمُدَّةِ عامٍ آخَرَ ، حَتّى حَدَثَ شَيْءٌ أَحْزَنَني : لَقَدْ تَحَسَّنَتْ صِحَّةُ زَوْجَةِ آلسَّيِّدِ غُورْدُون ، غَيْرَ أَنَّها لَمْ تَسْتَرِدَّ صِحَّتَها إِلّا لِبِضْعَةِ أَسابيعَ قَليلَةٍ ، فَنَصَحَ آلطَّبيبُ بِأَنْ تَذْهَبَ لِتَعيشَ في مِنْطَقَةٍ جافَّةٍ جَنوبَ فَرَنْسا . وَأَعْلَنَ آلسَّيِّدُ غُورْدُون عَنْ عَزْمِهِ عَلى آلإِنْتِقالِ مِنَ آلمَزْرَعَةِ إِلى هُناكَ .

حَزِنّا جَميعًا لِسَماعِ ذٰلِكَ آلخَبَرِ ، وَكانَ آلسَّيِّدُ غُورْدُون نَفْسُهُ يَبْدو غَيْرَ سَعيدٍ ، إِلّا أَنَّهُ بَدَأَ يُجْري آلإِسْتِعْداداتِ آللّازِمَةَ لِلإِنْتِقالِ . وَسَمِعْنا آلكَثيرَ مِنَ آلأَحاديثِ آلَّتي كانَتْ تَدورُ في آلحَظيرَةِ حَوْلَ هٰذا آلمَوْضوعِ . وَحَزِنَ جُون حُزْنًا شَديدًا ، وَتَوَقَّفَ جُو تَقْريبًا عَنِ آلغِناءِ أَثْناءَ آلعَمَلِ كَعادَتِهِ .

وَذاتَ يَوْمٍ جاءَتِ ابْنَتا آلسَّيِّدِ غُورْدُون لِرُؤْيَةِ آلفَرَسِ مِريلِغز لِآخِرِ مَرَّةٍ قَبْلَ رَحيلِهِما ، وَبَكَتا طَويلًا ، وَقالَتا لَهُ :

«سَوْفَ تَكونُ سَعيدًا يا صَديقَنا آلعَجوزَ . إِنَّ والِدَنا سَيُعْطيكَ آلسَّيِّدَ غُود جارَنا ، وَسَتَقومُ بِحَمْلِ زَوْجَتِهِ مِنْ مَكانٍ لِآخَرَ ، وَلٰكِنَّكَ لَنْ تَقومَ بِأَيَّةِ أَعْمالٍ شاقَّةٍ . وَسَوْفَ يُرافِقُكَ جُو ، وَسَيَكونُ آلسّائِسَ آلمَسْئولَ عَنْكَ هُناكَ . وَسَوْفَ تَرى أَيْضًا آلجَمالَ آلأَسْوَدَ وَجِنْجَر بَيْنَ وَقْتٍ وَآخَرَ ، فَقَدْ باعَهُما والِدُنا إِلى لُورْد وِيسْتْلانْد صاحِبِ آلمَزْرَعَةِ آلمُجاوِرَةِ لَنا .»

أَبْدَى ٱلسَّيِّدُ غُورْدُون اسْتِعْدادَهُ لِمُساعَدَةِ جُون في ٱلْحُصولِ عَلى عَمَلٍ في مَكانٍ مُناسِبٍ . وَلٰكِنَّ جُون رَغِبَ في ٱفْتِتاحِ مَدْرَسَةٍ لِتَدْريبِ صِغارِ ٱلْخَيْلِ ، وَقالَ :

« إِنَّ ٱلْكَثيرَ مِنَ ٱلْخَيْلِ تَتَدَرَّبُ بِطَريقَةٍ مُخيفَةٍ . إِنَّ ٱلْخَيْلَ أَصْدِقائي ، وَهِيَ تُحِبُّني ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّها سَوْفَ تَتَعَلَّمُ بِشَكْلٍ أَفْضَلَ إِذا تَوَلَّى تَعْليمَها شَخْصٌ رَفيقٌ بِها ؛ وَسَوْفَ أُعَلِّمُ ٱلْخَيْلَ بِطَريقَتي ٱلخاصَّةِ . »

عَلَّقَ ٱلسَّيِّدُ غُورْدُون قائِلًا : « أَنا لا أَعْرِفُ أَحَدًا أَفْضَلَ مِنْكَ في ٱلْقِيامِ بِهٰذا ٱلْعَمَلِ ؛ فَٱلْخَيْلُ لا تَميلُ إِلَيْكَ فَحَسْبُ ، بَلْ إِنَّها تُحِبُّكَ حُبًّا جَمًّا ، وَإِنْ كانَ يُحْزِنُني أَنْ أَفْقِدَ صَديقًا مِثْلَكَ . »

أَخيرًا جاءَ يَوْمُنا ٱلأَخيرُ هُناكَ في ٱلْمَزْرَعَةِ ، فَتَوَلَّيْتُ أَنا وَ جِنْجَر جَرَّ ٱلْعَرَبَةِ إِلى ٱلْبَيْتِ لِآخِرِ مَرَّةٍ . وَقَدْ وَقَفَ كُلُّ مَنْ يَعْمَلُ بِٱلْبَيْتِ عِنْدَ ٱلْبابِ في ٱلْوَقْتِ ٱلَّذي نَزَلَ فيهِ ٱلسَّيِّدُ غُورْدُون حامِلًا زَوْجَتَهُ بَيْنَ ذِراعَيْهِ ، وَٱنْخَرَطوا جَميعًا في ٱلْبُكاءِ عِنْدَما تَحَرَّكْنا مُبْتَعِدينَ عَنِ ٱلْبَيْتِ .

اَلْفَصْلُ ٱلثّالِثَ عَشَرَ

مَزْرَعَةُ ٱللُّورد

جاءَ جُوْ في ٱلْيَوْمِ ٱلتّالي لِيَرانا ، وَ اصْطَحَبَ مِرِيلِغْز إِلى مَنْزِلِ عائِلَةِ غُود ، وَرَكِبَ جُون جِنْجَر وَ قادَني إِلى مَزْرَعَةِ ٱللُّورد . كانَ بِٱلْمَزْرَعَةِ بَيْتٌ كَبيرٌ . وَعِنْدَ وُصولِنا إِلى ٱلْحَظائِرِ سَأَلَ جُون عَنِ ٱلسَّيِّدِ يُورْك رَئيسِ ٱلسّائِقينَ وَٱلعامِلينَ بِٱلْحَظائِرِ . وَلَمّا تَقَدَّمَ نَظَرَ إِلَيْنا وَ قالَ لِجُون :

« إِنَّ ٱلْجَوادَيْنِ يَبْدوانِ في حالَةٍ طَيِّبَةٍ . وَلٰكِنَّ ٱلجِيادَ يَخْتَلِفُ دائِمًا بَعْضُها عَنْ بَعْضٍ . هَلْ لَكَ أَنْ تُحَدِّثَني عَنْ هٰذَيْنِ ٱلْجَوادَيْنِ ؟ »

قالَ جُون : « حَسَنًا ! لَيْسَ هُناكَ أَفْضَلُ مِنْهُما في كُلِّ أَنْحاءِ ٱلْبِلادِ ، وَلٰكِنَّ كُلًّا مِنْهُما يَخْتَلِفُ عَنِ ٱلآخَرِ . فَٱلجَمالُ ٱلأَسْوَدُ مَثَلًا لا يَعْرِفُ ٱلْغَضَبَ أَوِ ٱلْخَوْفَ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْ أَنْ عامَلَهُ أَحَدٌ بِقَسْوَةٍ طَوالَ حَياتِهِ . أَمّا جِنْجَر فَلَمْ يَكُنْ هٰذا حالُها عِنْدَما جِئْنا بِها أَوَّلَ مَرَّةٍ . كانَتْ تَميلُ دائِمًا لِلْعَضِّ وَٱلرَّفْسِ ، إِذْ يَبْدو أَنَّها عاشَتْ حَياةً تَعِسَةً قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْنا . أَمّا ٱلآنَ فَإِنَّها قَدْ تَغَيَّرَتْ كَثيرًا في مَزْرَعَةِ ٱلسَّيِّدِ غُورْدُون . فَقَدْ كُنّا نُعامِلُها دائِمًا بِرِفْقٍ ، لِهٰذا كانَتْ عَلى ما يُرامُ طَوالَ ٱلسَّنَواتِ ٱلثَّلاثِ ٱلماضِيَةِ . وَلٰكِنَّني أَخْشى أَنْ تَعودَ إِلى حالَتِها ٱلسَّيِّئَةِ ٱلَّتي كانَتْ عَلَيْها إِذا عُومِلَتْ مُعامَلَةً قاسِيَةً مَرَّةً أُخْرى . »

قالَ يُورْك : « سَوْفَ أَحْرِصُ عَلى أَنْ أَتَذَكَّرَ هٰذا دائِمًا وَلٰكِنَّ عِنْدي عَدَدًا كَبيرًا مِنَ ٱلسُّوّاسِ وَ ٱلسّائِقينَ وَ لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُراقِبَهُمْ كُلَّهُمْ طَوالَ ٱلْوَقْتِ . »

عِنْدَما هَمَّ جون بِالاِنْصِرافِ قالَ لِلسَّيِّدِ يورك : «أَوَدُّ أَنْ أُعَرِّفَكَ أَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْ لَنا أَنِ اسْتَخْدَمْنا في مَزْرَعَةِ السَّيِّدِ غوردون ذٰلِكَ النَّوْعَ مِنْ سُيورِ اللِّجامِ الَّذي يَرْبِطُ شَكيمَةَ الجَوادِ وَيَشُدُّها إِلى السَّرْجِ . لِأَنَّ ذٰلِكَ يُضايِقُ الجَوادَ ، وَإِنْ كانَ يَجْعَلُهُ يَبْدو أَجْمَلَ شَكْلًا .»

قالَ يورك : «وَلٰكِنَّنا نَسْتَخْدِمُ هٰذا النَّوْعَ مِنْ سُيورِ اللِّجامِ هُنا ، وَإِنْ كُنْتُ أَنا شَخْصِيًّا لا أُحِبُّهُ . وَلورد ويسْتلانْد رَفيقٌ بِالجِيادِ ، وَلٰكِنَّ السَّيِّدَةَ زَوْجَتَهُ تَخْتَلِفُ عَنْهُ . فَهِيَ تُحِبُّ أَنْ تَرى كُلَّ شَيْءٍ في أَجْمَلِ صورَةٍ ، لِهٰذا فَإِنَّها تُصِرُّ عَلى اسْتِخْدامِ هٰذا النَّوْعِ مِنْ سُيورِ اللِّجامِ في جِيادِ عَرَبَتِها ، لِأَنَّها تَجْعَلُ رُؤوسَ الجِيادِ مَرْفوعَةً دائِمًا ، فَضْلًا عَنْ أَنَّ هٰذِهِ هِيَ الطَّريقَةُ المُتَّبَعَةُ هُنا مَعَ الجِيادِ . وَلِهٰذا فَإِنَّهُ لا مَفَرَّ مِنِ اسْتِخْدامِهِ .»

تَقَدَّمَ جون نَحْوَنا وَرَبَّتَ عَلى كُلٍّ مِنّا ، وَتَكَلَّمَ مَعَنا بَعْضَ الوَقْتِ لِآخِرِ مَرَّةٍ ثُمَّ انْصَرَفَ . وَقَدْ حَزِنّا جِدًّا لِفِراقِهِ .

في اليَوْمِ التّالي جاءَ لورد ويسْتلانْد لِيَرانا . قالَ لِيورك : «إِنَّ غوردون قالَ لي إِنَّهُما جَوادانِ مُمْتازانِ ، وَهُما يَبْدُوانِ كَذٰلِكَ بِالفِعْلِ . وَلٰكِنَّنا لا نَسْتَطيعُ أَنْ نَجْعَلَ العَرَبَةَ يَجُرُّها جَوادانِ أَحَدُهُما أَسْوَدُ وَالآخَرُ بُنِّيُّ اللَّوْنِ . قَدْ يَكونُ هٰذا لائِقًا هُناكَ ، أَمّا هُنا فَلا نَسْتَطيعُ أَنْ نَرْكَبَ العَرَبَةَ عَلى هٰذا النَّحْوِ .»

قالَ لَهُ يورك إِنَّ جون قَدْ كَلَّمَهُ بِشَأْنِ ذٰلِكَ النَّوْعِ مِنْ سُيورِ اللِّجامِ الَّذي يُثَبِّتُ الشَّكيمَةَ بِالسَّرْجِ . فَأَجابَهُ اللّورْد ويسْتلانْد قائِلًا :

«حَسَنًا ، اِسْتَخْدِمْ هٰذِهِ السُّيورَ مَعَ الجَوادَيْنِ ، وَلٰكِنِ ارْفَعْها بَيْنَ وَقْتٍ

وَآخَرَ ، وَسَوْفَ أَتَكَلَّمُ مَعَ زَوْجَتي بِشَأْنِها .»

بَعْدَ الظُّهْرِ تَمَّ تَجْهيزُنا وَرَبْطُنا بِالسُّيورِ في العَرَبَةِ ، ثُمَّ قادَنا السّائِسُ إِلى واجِهَةِ المَنْزِلِ . وَكانَ مَنْزِلًا كَبيرًا جِدًّا ، وَأَكْبَرَ مِنْ مَنْزِلِ السَّيِّدِ غوردون كَثيرًا ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يُعْجِبْني .

خَرَجَتْ زَوْجَةُ اللّورْد ويسْتلانْد مِنَ البَيْتِ وَدارَتْ حَوْلَنا تَنْظُرُ إِلَيْنا . وَيَبْدو أَنَّ شَيْئًا ما أَثارَ اسْتِياءَها ، وَلٰكِنَّها لَمْ تَقُلْ شَيْئًا ، بَلْ صَعِدَتْ إِلى العَرَبَةِ . وَلَمَسَنا يورك بِطَرَفِ السَّوْطِ فَانْطَلَقْنا نَسيرُ بِالعَرَبَةِ .

لَمْ يَسْبِقْ أَنِ اسْتَخْدَمَ هٰذا النَّوْعَ مِنْ سُيورِ اللِّجامِ مَعي ، وَأَعْني بِهِ تِلْكَ الَّتي تَرْبِطُ الشَّكيمَةَ بِالسَّرْجِ . وَلٰكِنْ عَلى أَيَّةِ حالٍ لَمْ يَكُنِ الأَمْرُ بالِغَ السُّوءِ ، وَكُنْتُ أَسيرُ أَوْ أَرْكُضُ مَرْفوعَ الرَّأْسِ بِفِعْلِ تِلْكَ السُّيورِ ، إِلّا أَنَّها لَمْ تَكُنْ تَسْمَحُ لي بِأَنْ أَخْفِضَ رَأْسي . وَكُنْتُ أَخْشى أَنْ تَغْضَبَ جِنْجَر ، وَلٰكِنَّها كانَتْ عَلى ما يُرامُ .

في نَفْسِ المَوْعِدِ في اليَوْمِ التّالي وَقَفْنا مَرَّةً أُخْرى أَمامَ البَيْتِ ، وَعِنْدَما خَرَجَتِ السَّيِّدَةُ لِتَرْكَبَ العَرَبَةَ قالَتْ لِيورك :

«عَلَيْكَ يا يورك أَنْ تَشُدَّ السُّيورَ بِحَيْثُ يَرْتَفِعُ رَأْسا الجَوادَيْنِ لِأَعْلى . إِنَّني لَنْ أَرْكَبَ عَرَبَةً تَجُرُّها جِيادٌ بِهٰذا الشَّكْلِ .»

نَزَلَ يورك مِنَ العَرَبَةِ قائِلًا : «أَرْجو أَلّا تَغْضَبي مِنّي يا سَيِّدَ[تي] . إِنَّ هٰذَيْنِ الجَوادَيْنِ لَمْ يَعْتادا هٰذا النَّوْعَ مِنَ السُّيورِ مِنْ قَبْلُ ، كَما أَنَّ اللّورْد [و]سْتلانْد

طَلَبَ مِنّي أَنْ أُخَفِّفَ مِنْ رَبْطِ ٱلسُّيورِ بَيْنَ وَقْتٍ وَآخَرَ . هَلْ تَرْغَبينَ في أَنْ أَشُدَّها أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ ؟»

أَجابَتْ : «نَعَمْ .»

تَقَدَّمَ يورْك نَحْوَ رَأْسَيْنا ، وَقَصَّرَ ٱلسُّيورَ بِمَسافَةِ ثَقْبٍ واحِدٍ عَلى ماأَعْتَقِدُ .

وَعِنْدَما وَصَلْنا إِلى أَحَدِ ٱلتِّلالِ رَغِبْنا في أَنْ نُخَفِّضَ رَأْسَيْنا قَليلًا حَتّى نَسْتَطيعَ جَرَّ ٱلعَرَبَةِ بِقُوَّةٍ أَكْثَرَ ، إِلّا أَنَّ هٰذِهِ ٱلسُّيورَ حالَتْ دونَ ذٰلِكَ ، مِمّا أَلْقى بِكُلِّ ٱلعِبْءِ عَلى ظَهْرَيْنا وَقَوائِمِنا ، فَقالَتْ لي جِنْجَر :

«هَلْ تَرى كَيْفَ صارَتِ ٱلأُمورُ ؟ إِنَّ ٱلأَمْرَ بالِغُ ٱلسّوءِ . إِنْ كَفّوا عَنْ شَدِّ هٰذِهِ ٱلسُّيورِ ، فَلَنْ أُظْهِرَ اسْتِياءً ، لِأَنَّهُمْ يُبْدونَ كَثيرًا مِنَ ٱلعَطْفِ عَلَيْنا هُنا ، أَمّا إِذا شَدّوها أَكْثَرَ فَإِنَّني سَوْفَ أَتَصَرَّفُ تَصَرُّفًا سَيِّئًا . أَنا لا أُريدُ أَنْ أَكونَ شِرّيرَةً ، وَلٰكِنَّ هٰذِهِ ٱلسُّيورَ تُثيرُ غَضَبي جِدًّا .»

اَلفَصْلُ ٱلرّابِعَ عَشَرَ

جِنْجَر تَبْدَأُ في ٱلرَّفْسِ

ذاتَ يَوْمٍ أَقْبَلَتْ زَوْجَةُ ٱللّورد وِيسْتلانْد وَهِيَ تَرْتَدي مَلابِسَ فاخِرَةً ، وَقالَتْ لِيورْك :

«قُدِ ٱلعَرَبَةَ إِلى مَنْزِلِ ٱللَّيْدي وِينْشْمُونْد .» وَلٰكِنَّها لَمْ تَصْعَدْ بَعْدَ ذٰلِكَ إِلى ٱلعَرَبَةِ بَلْ قالَتْ : «أَلَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا حَتّى يُصْبِحَ رَأْسا هٰذَيْنِ ٱلجَوادَيْنِ مَرْفوعَيْنِ ؟ اِفْعَلْ شَيْئًا . عَلَيْكَ أَنْ تَشُدَّ هٰذِهِ ٱلسُّيورَ عَلى ٱلفَوْرِ .»

تَقَدَّمَ يورْك إِلَيَّ أَوَّلًا ، وَجَذَبَ رَأْسي إِلى ٱلخَلْفِ ، فَٱلْتَفَّتِ ٱلسُّيورُ في رَقَبَتي ، وَجَرَحَتِ ٱلشَّكيمَةُ فَمي . ثُمَّ اتَّجَهَ إِلى جِنْجَر وَبَدَأَ يَفْعَلُ نَفْسَ ٱلشَّيْءِ مَعَها ، إِلّا أَنَّها شَبَّتْ واقِفَةً عَلى قائِمَتَيْها ٱلخَلْفِيَّتَيْنِ ، وَأَرْجَعَتْ أُذُنَيْها إِلى ٱلخَلْفِ ، وَامْتَلَأَتْ عَيْناها بِٱلغَضَبِ ٱلشَّديدِ ، ثُمَّ بَدَأَتْ تَرْفُسُ ، بَلْ وَحاوَلَتِ ٱلإِفْلاتَ مِنَ ٱلعَرَبَةِ . وَلَمْ يُفْلِحْ يورْك وَٱلسّائِسُ في إِيقافِها . وَأَخيرًا اشْتَبَكَتْ قَوائِمُها في ٱلعِنانِ فَسَقَطَتْ عَلى ٱلأَرْضِ . وَعِنْدَئِذٍ جَلَسَ يورْك عَلى رَأْسِ جِنْجَر وَنادى ٱلسّائِسَ لِيُحْضِرَ لَهُ سِكّينًا حَتّى يَقْطَعَ بِها ٱلسُّيورَ . وَعادَتْ زَوْجَةُ ٱللّورْد وِيسْتلانْد أَدْراجَها إِلى داخِلِ ٱلمَنْزِلِ .

أُصيبَتْ جِنْجَر في عِدَّةِ مَواضِعَ مِنْ جِسْمِها ، وَكانَتْ غاضِبَةً كُلَّ ٱلغَضَبِ وَمُسْتَعِدَّةً لِلرَّفْسِ وَٱلعَضِّ . وَلَمْ يَتَّسِعِ ٱلوَقْتُ لِأَحَدٍ لِيَهْتَمَّ بِأَمْري ، فَظَلَلْتُ في مَكاني فَتْرَةً طَويلَةً وَرَأْسي مَشْدودٌ لِلْخَلْفِ ، وَٱلشَّكيمَةُ تُؤْلِمُني في فَمي ، حَتّى جاءَ يورْك أَخيرًا وَفَكَّ هٰذِهِ ٱلسُّيورَ وَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ قائِلًا :

«لِماذا يَجِبُ عَلَيْنا أَنْ نَسْتَخْدِمَ هٰذِهِ ٱلسُّيُورَ ؟ إِنَّها تُسِيءُ إِلى ٱلْجِيادِ ، فَضْلًا عَنْ أَنَّها تَجْعَلُ مُهِمَّتَنا شاقَّةً ، كَما أَنَّ ٱللُّورْد وِيسْتلانْد سَوْفَ يَسْتاءُ مِنِّي لا لِشَيْءٍ إِلَّا لِأَنَّنِي نَفَّذْتُ تَعْلِيماتِ ٱلسَّيِّدَةِ زَوْجَتِهِ . وَلٰكِنْ كَيْفَ لِي أَنْ أَعْصِيَ لَها أَمْرًا ؟»

لَمْ تَسْتَخْدِمْ جِنْجَر لِجَرِّ ٱلْعَرَبَةِ بَعْدَ ذٰلِكَ طَوالَ وُجودِها في مَزْرَعَةِ ٱللُّورْد وِيسْتلانْد . فَعِنْدَما تَحَسَّنَ حالُها أَخَذَها أَصْغَرُ أَبْناءِ ٱللُّورْد لِيَرْكَبَها .

أَمَّا أَنا فَظَلَلْتُ أَعْمَلُ في جَرِّ ٱلْعَرَبَةِ طَوالَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ . وَكانَتْ تِلْكَ ٱلسُّيُورُ تُؤْلِمُنِي يَوْمًا بَعْدَ آخَرَ . وَكانَ يُزامِلُنِي في ٱلْعَمَلِ جَوادٌ عَجوزٌ ٱسْمُهُ ماكْس أَحْضَرُوهُ مِنْ حَظائِرِ ٱللُّورْد وِيسْتلانْد ٱلْأُخْرى . وَسَأَلْتُ ماكْس ذاتَ يَوْمٍ : «لِماذا عَلَيْنا أَنْ نَتَحَمَّلَ هٰذا ٱلْأَلَمَ ؟»

أَجابَنِي : «إِنَّ هٰذِهِ هِيَ طَرِيقَةُ سُكَّانِ مَدِينَةِ لَنْدَن . إِنَّهُمْ قَوْمٌ أَغْنِياءُ ، وَلِذا يَجِبُ أَنْ تَظَلَّ جِيادُ ٱلْأَغْنِياءِ مَرْفُوعَةَ ٱلرُّؤُوسِ . لَقَدْ تَسَبَّبَ هٰذا في مَرَضِي ، وَسَأَمُوتُ قَرِيبًا ، بَلْ سَتَمُوتُ أَنْتَ أَيْضًا قَبْلَ أَنْ تُصْبِحَ عَجُوزًا لَوِ ٱسْتَمَرُّوا في ٱسْتِخْدامِ هٰذِهِ ٱلسُّيُورِ مَعَكَ كُلَّ يَوْمٍ . إِنَّهُمْ حَمْقى ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟»

اَلْفَصْلُ ٱلْخامِسَ عَشَرَ

السّائِسُ رُيُوبِن سميث

في شَهْرِ أَبْرِيل تَوَجَّهَ ٱللُّورْد وِيسْتلانْد وَزَوْجَتُهُ إِلى مَنْزِلِهِما في ٱلْعاصِمَةِ لَنْدَن ، وَٱصْطَحَبا مَعَهُما يُورْك . أَمَّا أَنا وَجِنْجَر وَبَعْضُ ٱلْجِيادِ ٱلْأُخْرى فَبَقِينا في ٱلْمَزْرَعَةِ مَعَ أَبْنائِهِما وَأَصْدِقاءِ أَبْنائِهِما . وَعِنْدَما تَغَيَّبَ يُورْك عَنِ ٱلْحَظائِرِ تَوَلَّى أَمْرَها شَخْصٌ يُدْعى رُيُوبِن سميث ، وَكانَ سائِقًا مُمْتازًا وَسائِسًا ماهِرًا . كانَ يُحِبُّ الجِيادَ ، وَٱلْجِيادُ تُحِبُّهُ ، وَلٰكِنْ لِماذا ظَلَّ يَعْمَلُ سائِسًا وَلَمْ يَعْمَلْ سائِقًا مِثْلَ يُورْك ؟ هٰذا هُوَ ما أَخْبَرَنِي بِهِ ماكْس :

كانَتْ تَنْتابُ رُيُوبِن سميث نَوْباتٌ عَصَبِيَّةٌ . أَمَّا في ٱلْأَوْقاتِ ٱلْعادِيَّةِ ، فَإِنَّهُ يُؤَدِّي عَمَلَهُ عَلى خَيْرِ وَجْهٍ . لَقَدْ كانَ يَتَمَتَّعُ بِحُبِّ ٱلْجَمِيعِ ، أَمَّا عِنْدَما تَنْتابُهُ هٰذِهِ ٱلنَّوْباتُ فَإِنَّهُ يُصْبِحُ شَخْصًا آخَرَ .

قالَ يَوْمًا لِيُورْك : «إِنَّنِي لَنْ أَسْتَطِيعَ أَنْ أَتَحَكَّمَ في نَفْسِي عِنْدَما تُصِيبُنِي هٰذِهِ ٱلنَّوْباتُ .» وَلِهٰذا كانَ يُورْك يَخْشى أَنْ تُسْنَدَ إِلى سميث مُهِمَّةُ ٱلسّائِقِ ٱلْأَوَّلِ بِٱلْحَظائِرِ في ٱلْأَوْقاتِ ٱلَّتِي يَتَغَيَّبُ فِيها .

ذاتَ يَوْمٍ رَغِبَ أَصْغَرُ أَبْناءِ ٱللُّورْد وِيسْتلانْد في ٱلتَّوَجُّهِ إِلى لَنْدَن ، فَقالَ لِسميث : «سَوْفَ أَسْتَقِلُّ ٱلْقِطارَ مِنْ هارْتفُورْد ، وَأَوَدُّ أَنْ تَقُودَ ٱلْعَرَبَةَ وَتَأْخُذَنِي إِلى هُناكَ . وَسَوْفَ تَتْرُكُ ٱلْعَرَبَةَ هُناكَ حَتّى يَتَوَلّى صانِعُ ٱلْعَرَباتِ إِصْلاحَها وَتَرْكِيبَ عَجَلَةٍ جَدِيدَةٍ بِها ؛ لِذا عَلَيْكَ أَنْ تُحْضِرَ مَعَكَ سَرْجًا آخَرَ حَتّى تَعُودَ إِلى ٱلْبَيْتِ مُمْتَطِيًا صَهْوَةَ ٱلْجَمالِ ٱلْأَسْوَدِ .»

قادَني رِيُوبن سميث إلى صانِعِ ٱلعَرَباتِ، ثُمَّ وَضَعَ ٱلسَّرْجَ على ظَهْري وَرَكِبَني لِأَذْهَبَ بِهِ إلى فُنْدُقٍ يُسَمّى «فُنْدُقُ ٱلحِصانِ ٱلأَبْيَضِ»، وَهُناكَ طَلَبَ مِنَ ٱلسّائِسِ أَنْ يُقَدِّمَ لي طَعامًا جَيِّدًا. كَما طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُجَهِّزَني بِحَيْثُ أَكونُ مُسْتَعِدًّا لِلتَّحَرُّكِ في ٱلسّاعَةِ ٱلرّابِعَةِ. ثُمَّ شاهَدْتُهُ يَلْتَقي بِبَعْضِ أَصْدِقائِهِ ٱلقُدامى عِنْدَ بابِ ٱلفُنْدُقِ. لِذا فَإِنَّهُ خَرَجَ مِنَ ٱلفُنْدُقِ في حَوالَى ٱلخامِسَةِ لِيُبَلِّغَ ٱلسّائِسَ أَنَّهُ لَنْ يَنْصَرِفَ قَبْلَ ٱلسّادِسَةِ.

كانَ ٱلسّائِسُ قَدْ لاحَظَ أَنَّ ٱلنَّعْلَ (ٱلحَذْوَةَ) ٱلمُرَكَّبَةَ بِحافِري ٱلأَيْمَنِ ٱلأَمامِيِّ على وَشْكِ أَنْ تَسْقُطَ، فَسَأَلَ رِيُوبن سميث إذا كانَ يَرْغَبُ في أَنْ يُغَيِّرَها لي فَقالَ لَهُ: «لا! لا أَعْتَقِدُ أَنَّها سَوْفَ تَسْقُطُ قَبْلَ أَنْ نَعودَ إلى ٱلبَيْتِ.»

لَمْ يَكُنْ هٰذا ما تَعَوَّدْنا أَنْ نَسْمَعَهُ مِنْ رِيُوبن سميث. فَقَدْ كانَ يَحْرِصُ دائِمًا على تَغْييرِ كُلِّ نَعْلٍ إذا ٱقْتَضى ٱلأَمْرُ ذٰلِكَ. كَما كانَ يَحْرِصُ دائِمًا على أَنْ تَكونَ في حالَةٍ جَيِّدَةٍ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ كَلِماتِهِ أَثارَتْ دَهْشَتي. وَقَدْ ضايَقَني هٰذا كَثيرًا.

لَمْ يُغادِرْ سميث ٱلفُنْدُقَ في ٱلسّادِسَةِ، وَلا حَتّى في ٱلسّابِعَةِ أَوِ ٱلثّامِنَةِ، وَإِنَّما خَرَجَ في ٱلتّاسِعَةِ وَسْطَ ضَوْضاءٍ وَضَجيجٍ، وَصاحَ بِٱلسّائِسِ طالِبًا مِنْهُ أَنْ يُحْضِرَ لَهُ جَوادَهُ. وَكانَ مُسْتاءً مِنَ ٱلسّائِسِ لِسَبَبٍ لَمْ أَتَبَيَّنْهُ، وَغاضِبًا مِنْ كُلِّ مَنْ في ٱلفُنْدُقِ.

قَبْلَ أَنْ نَتْرُكَ ٱلمَدينَةَ بَدَأَ يَضْرِبُني بِٱلسَّوْطِ، وَلَمْ يَكُفَّ عَنْ ضَرْبي حَتّى عِنْدَما بَدَأْتُ أَعْدو بِكُلِّ سُرْعَةٍ.

لَمْ يَطْلُعِ ٱلقَمَرُ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ، لِذا كانَتِ ٱلدُّنْيا ظَلامًا، وَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَبَيَّنَ طَريقي بِوُضوحٍ وَكانَ مَمْلوءًا بِالحِجارَةِ، وَسَقَطَتِ ٱلنَّعْلُ (ٱلحَذْوَةُ) مِنّي. وَلَمْ يَكُفَّ سميث عَنْ ضَرْبي بِٱلسَّوْطِ، أَوْ عَنِ ٱلصُّراخِ. وَلَمْ أُدْرِكِ ٱلسَّبَبَ في ذٰلِكَ: لا بُدَّ أَنَّ إِحْدى ٱلنَّوْباتِ ٱلعَصَبِيَّةِ قَدِ ٱنْتابَتْهُ ٱلآنَ وَإِلّا كانَ أَدْرَكَ أَنَّ ٱلنَّعْلَ قَدْ سَقَطَتْ مِنّي.

كانَ ٱلطَّريقُ وَعْرًا، وَرَغْمَ هٰذا جَعَلَني أَعْدو بِأَقْصى سُرْعَةٍ. وَكانَتِ ٱلأَحْجارُ تَجْرَحُ قَوائِمي، وَخاصَّةً تِلْكَ ٱلَّتي سَقَطَتْ مِنْها ٱلنَّعْلُ.

أَخيرًا وَقَعْتُ على ٱلأَرْضِ. وَلَمّا كُنْتُ في ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ أَعْدو بِسُرْعَةٍ فائِقَةٍ، فَقَدْ طارَ سميث مِنْ فَوْقِ رَأْسي، وَسَقَطَ على ٱلأَرْضِ دونَ حَراكٍ، وَرَغْمَ أَنَّ قَوائِمي قَدْ أُصيبَتْ بِسَبَبِ سُقوطي إِلّا أَنَّني نَهَضْتُ واقِفًا وَٱتَّخَذْتُ جانِبَ الطَّريقِ، وَوَقَفْتُ مُنْتَظِرًا.



اَلفَصلُ ٱلسَّادِسَ عَشَرَ

سُوقُ ٱلجِيادِ

وَقَفْتُ في مَكاني مُنتَظِرًا فَترةً طَويلةً ، حَتّى سَمِعْتُ أخيرًا ماكْس قادِمًا يَجُرُّ ٱلعَرَبةَ ذاتَ ٱلعَجَلَتَيْنِ ، فَنادَيْتُهُ وَأجابَني . وَكانَ بِٱلعَرَبةِ اثْنانِ مِنْ عُمّالِ ٱلحَظيرةِ قَدِما لِلْبَحْثِ عَنْ سميث ، فَقَفَزَ أحَدُهُما وَاتَّجَهَ إلى حَيْثُ كانَ سميث يَرْقُدُ بِلا حَراكٍ عَلى قارِعةِ ٱلطَّريقِ ، وَقالَ : « إنَّهُ سميث ، وَجَسَدُهُ بارِدٌ . إنَّهُ مَيِّتٌ ! »

أمّا زَميلُهُ فَنَزَلَ مِنَ ٱلعَرَبةِ وَاتَّجَهَ نَحْوي ، وَعَلى ضَوْءِ مَصابيحِ ٱلعَرَبةِ شاهَدَ ٱلجُروحَ ٱلبَليغةَ ٱلَّتي أصابَتْ قَوائِمي ، فَقالَ : « لَقَدْ سَقَطَ ٱلجَمالُ ٱلأسْوَدُ . إنَّنا ما كُنّا نَظُنُّ يَوْمًا أنَّهُ يُمْكِنُ أنْ يَسْقُطَ أرْضًا ، فَماذا حَدَثَ ؟ »

حاوَلَ أنْ يَقودَني نَحْوَ ٱلعَرَبةِ وَلٰكِنّي كِدْتُ أنْ أقَعَ مَرّةً أُخرى ، فَقالَ لِزَميلِهِ : « إنَّ قَدَمَ ٱلجَمالِ ٱلأسْوَدِ في حالةٍ بالِغةِ ٱلسّوءِ . أُنْظُرْ ! لَيْسَ بِها نَعْلٌ . إنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَبيعةِ سميث أنْ يَرْكَبَ جَوادًا بِلا نَعْلٍ . أخْشى أنْ يَكونَ قَدْ أُصيبَ بِنَوْبةٍ عَصَبيّةٍ في طَريقِ عَوْدَتِهِ . »

حَمَلا جُثّةَ رِوُبِن سميث إلى ٱلعَرَبةِ ذاتِ ٱلعَجَلَتَيْنِ ، وَتَوَلّى أحَدُهُما قِيادةَ ٱلعَرَبةِ إلى مَزْرَعةِ ٱللّورد . أمّا ٱلرَّجُلُ ٱلثّاني فَقَدْ لَفَّ قَدَمي ٱلمُصابةَ بِقِطْعةٍ مِنَ ٱلقُماشِ ، وَقادَني لِأسيرَ فَوْقَ ٱلجانِبِ ٱلمُعْشِبِ مِنَ ٱلطَّريقِ . وَكانَتِ ٱلجُروحُ ٱلَّتي في قَوائِمي تُؤْلِمُني طَوالَ ٱلوَقْتِ لٰكِنّي وَصَلْتُ في ٱلنِّهايةِ إلى ٱلبَيْتِ .

كانَ عُمّالُ ٱلحَظيرةِ يَبْذُلونَ كُلَّ جُهْدِهِمْ لِمُساعَدَتي ، وَلٰكِنَّ حالَتي ٱلصِّحّيّةَ لَمْ تَتَحَسَّنْ لِعِدّةِ أسابيعَ ، وَكانَتِ ٱلجُروحُ في حالةٍ سَيِّئةٍ . وَلَمّا تَمَكَّنْتُ مِنَ ٱلسَّيْرِ بَعْدَ ذٰلِكَ نَقَلوني إلى حَقْلٍ صَغيرٍ ، وَهُناكَ – وَبَعْدَ مُضِيِّ أسابيعَ – طَرَأَ بَعْضُ ٱلتَّحَسُّنِ عَلى قَوائِمي . وَفي يَوْمٍ مِنَ ٱلأيّامِ جاءَ ٱللّوردُ ويسْتلاند وَمَعَهُ يورْك ، وَنَظَرَ إلى قَوائِمي . وَكانَتِ ٱلجُروحُ قَدْ تَحَسَّنَتْ إلّا أنَّها تَرَكَتْ بَعْضَ ٱلآثارِ .

سَأَلَ ٱللّوردُ يورْك : « ألَنْ تَزولَ آثارُ هٰذِهِ ٱلجُروحِ أبَدًا ؟ »

أجابَهُ : « لا يا سَيِّدي لَنْ تَزولَ . »

اسْتاءَ ٱللّوردُ وَقالَ : « يَجِبُ إذًا أنْ نَبيعَهُ ، فَأنا لا أسْتَطيعُ أنْ أحْتَفِظَ في حَظائِري بِجَوادٍ مُشَوَّهِ ٱلقَوائِمِ . إنَّني حَزينٌ جِدًّا لِذٰلِكَ ، فَصَديقي غورْدون كانَ يَوَدُّ أنْ يَجِدَ جَوادَهُ ٱلجَمالَ ٱلأسْوَدَ ٱلسَّعادةَ في بَيْتي ، وَهأنَذا أجِدُ نَفْسي مُضْطَرًّا إلى بَيْعِهِ . »

في ٱليَوْمِ ٱلَّذي تُقامُ فيهِ سوقُ بَيْعِ ٱلجِيادِ أُخِذْتُ إلى هُناكَ ، حَيْثُ جاءَ ٱلكَثيرُ مِنَ ٱلنّاسِ وَفَحَصوني . وَقَدِ انْصَرَفَ ٱلأغْنِياءُ مِنْهُمْ بِمُجَرَّدِ أنْ لاحَظوا تِلْكَ ٱلآثارَ في قَوائِمي . وَطافَ آخَرونَ حَوْلي ، وَفَتَحوا فَمي ، وَنَظَروا في عَيْنَيَّ ، وَمَرُّوا بِأيْديهِمْ عَلى قَوائِمي ، وَجَعَلوني أسيرُ وَأرْكُضُ . وَكانَتْ أيادي بَعْضِهِمْ قاسِيةً عَلَيَّ ، إذْ لَمْ أكُنْ بِٱلنِّسْبةِ لَهُمْ سِوى حَيَوانِ شُغْلٍ . لٰكِنَّ آخَرينَ كَلَّموني وَتَحَسَّسوني بِأيْديهِمْ في رِفْقٍ وَرَبَّتوا عَلَيَّ وَحاوَلوا أنْ يَعْرِفوا ٱلمَزيدَ عَنّي .



وَقَدْ أَحْبَبْتُ رَجُلًا تَلَمَّسْتُ فِيهِ الرِّقَّةَ ، وَاعْتَقَدْتُ أَنَّنِي سَأَكُونُ سَعِيدًا مَعَهُ .

كَانَتْ لِهٰذَا الرَّجُلِ رَائِحَةٌ ذَكِيَّةٌ ، وَأَدْرَكْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ ٱلْخَيْلَ ، وَأَنَّهُ عَطُوفٌ عَلَيْهَا . وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلُ ضَئِيلَ ٱلْجِسْمِ ، وَلٰكِنَّهُ كَانَ سَرِيعَ ٱلْحَرَكَةِ ، تَشْعُرُ بِٱلْوُدِّ فِي لَمَسَاتِ يَدَيْهِ وَنَظَرَاتِ عَيْنَيْهِ .

قَالَ ٱلرَّجُلُ : « سَأَدْفَعُ ثَلَاثَةً وَعِشْرِينَ جُنَيْهًا ثَمَنًا لِهٰذَا ٱلْجَوَادِ . »

لٰكِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي كَانَ يَبِيعُنِي أَرَادَ ٱلْحُصُولَ عَلَى ٱلْمَزِيدِ فَقَالَ لَهُ : « إِذَا قُلْتَ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ كَانَ ٱلْجَوَادُ لَكَ . »

قَالَ ٱلرَّجُلُ ٱلضَّئِيلُ : « أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ وَلَنْ أَزِيدَ عَلَيْهَا . »

أَجَابَهُ ٱلْبَائِعُ قَائِلًا : « وَأَنَا سَأَقْبَلُ مِنْكَ ٱلْأَرْبَعَةَ وَٱلْعِشْرِينَ جُنَيْهًا ، وَسَتَكُونُ بِذٰلِكَ قَدْ حَصَلْتَ عَلَى جَوَادٍ مُمْتَازٍ مُقَابِلَ نُقُودِكَ ، خُصُوصًا إِذَا كُنْتَ تَرْغَبُ فِي اسْتِخْدَامِهِ لِجَرِّ عَرَبَاتِ ٱلرُّكُوبِ ، فَإِنَّكَ سَتَجِدُ فِيهِ مَا يُرْضِيكَ . »

بَعْدَ أَنْ دَفَعَ سَيِّدِي ٱلْجَدِيدُ ٱلنُّقُودَ قَادَنِي إِلَى أَحَدِ ٱلْفَنَادِقِ ، وَهُنَاكَ أُتِيَ لِي بِسَرْجٍ وَقُدِّمَ لِي طَعَامًا جَيِّدًا . وَسِرْنَا بَعْدَ ذٰلِكَ فِي طَرِيقِنَا إِلَى لَنْدَن .

ٱلفَصْلُ ٱلسّابِعَ عَشَرَ

جَوادُ جَرِّ عَرَباتٍ في لَنْدن

كانَتْ شَوارِعُ ٱلْمَدينَةِ ٱلْكَبيرةِ تَمْتَلِئُ بِٱلجِيادِ وَٱلعَرَباتِ ذَواتِ ٱلعَجَلَتَيْنِ ، وَكُلِّ ما يَخْطُرُ بِبالِكَ مِنْ وَسائِلِ ٱلنَّقْلِ . وَرَغْمَ أَنَّ ٱلوَقْتَ كانَ لَيْلًا فَإِنَّني شاهَدْتُ على ضَوْءِ ٱلْمَصابيحِ بِٱلشَّوارِعِ مِنَ ٱلنّاسِ أَكْثَرَ مِمّا رَأَيْتُ طَوالَ حَياتي .

بَدَأْنا نَسيرُ في ٱلشَّوارِعِ ٱلعَديدَةِ بِٱلعاصِمَةِ ، وَأَخيرًا صاحَ سَيِّدي يُحَيّي شَخْصًا : « سَعِدْتَ مَساءً أَيُّها ٱلنَّقيبُ . » وَكُنّا قَدْ وَصَلْنا إلى أَحَدِ ٱلشَّوارِعِ ، حَيْثُ شاهَدْتُ عَدَدًا مِنْ عَرَباتِ ٱلرُّكوبِ تَقِفُ جَميعُها في ٱلإِنْتِظارِ واحِدَةً خَلْفَ ٱلأُخْرى في مَوْقِفٍ لِعَرَباتِ ٱلرُّكوبِ بِٱلأُجْرَةِ .

رَدَّ هٰذا ٱلشَّخْصُ ٱلَّذي حَيّاهُ سَيِّدي قائِلًا : « أَهْلًا بِكَ يا جيري . هَلِ ٱشْتَرَيْتَ جَوادًا مُمْتازًا ؟ »

أَجابَهُ : « نَعَمْ ، أَعْتَقِدُ ذٰلِكَ . »

رَدَّ ٱلنَّقيبُ قائِلًا : « يُسْعِدُني سَماعُ ذٰلِكَ يا جيري . أَسْعَدَ ٱللهُ مَساءَكَ . »

سِرْنا في شارِعٍ جانِبِيٍّ ، وَمِنْهُ إلى شارِعٍ آخَرَ بِهِ بَعْضُ ٱلْبُيوتِ ٱلصَّغيرةِ ٱلْبَسيطَةِ ، وَعَدَدٌ مِنَ ٱلحَظائِرِ وَمَحالِّ ٱلعَرَباتِ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ صاحِبي عِنْدَ بَيْتٍ مِنَ ٱلْبُيوتِ ٱلصَّغيرةِ ، وَنادى مُخاطِبًا سَيِّدَةً ، قائِلًا : « أَمازِلْتِ مُسْتَيْقِظَةً ؟ »



فُتِحَ ٱلبابُ وَخَرَجَتْ مِنْهُ ٱمْرَأَةٌ شابَّةٌ وَمَعَها بِنْتٌ وَوَلَدٌ يَصيحانِ في فَرَحٍ مُرَحِّبَيْنِ بِسَيِّدي وَهوَ يَنْزِلُ مِنْ فَوْقِ ظَهْري ، فَبادَلَهُمُ ٱلتَّحِيَّةَ وَقالَ : « هَيّا يا هاري ٱفْتَحْ بابَ ٱلحَظيرَةِ حَتّى أُدْخِلَ ٱلجَوادَ فيها . »

دَخَلْنا بَعْدَ ذٰلِكَ إلى حَظيرَةٍ صَغيرَةٍ ، وَكانَتْ تِلْكَ ٱلمَرْأَةُ تُمْسِكُ مِصْباحًا بِيَدِها ، وَٱلجَميعُ يَنْظُرونَ إِلَيَّ ، ثُمَّ سَأَلَتِ ٱلبِنْتُ والِدَها قائِلَةً : « هَلْ هوَ جَوادٌ مُمْتازٌ يا والِدي ؟ »

أَجابَها : « نَعَمْ يا دولْلي ، إِنَّهُ مُمْتازٌ مِثْلُكِ تَمامًا . رَبّتي عَلَيْهِ . »

شَعَرْتُ بِيَدِ ٱلبِنْتِ ٱلصَّغيرَةِ تُرَبِّتُ عَلَيَّ ، وَلَمْ تَكُنْ تَخْشى مِنّي . وَأَدْرَكْتُ عِنْدَئِذٍ أَنّي سَوْفَ أُحِبُّها .

قالَتِ ٱلمَرْأَةُ : « سَوْفَ أُحْضِرُ لَهُ بَعْضَ ٱلطَّعامِ ٱللَّذيذِ ، وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَقوموا بِتَدْليكِهِ . »

أَجابَها جيري قائِلًا : « نَعَمْ هٰذا ما سَنَفْعَلُهُ جَميعًا . »

كانَ جيري يُحِبُّ زَوْجَتَهُ بولي ، وَابْنَهُ هاري ٱلَّذي كانَ في ٱلثّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ ، وَابْنَتَهُ دولْلي . وَكانَتْ في ٱلثّامِنَةِ مِنْ عُمْرِها . وَكانوا قَوْمًا فُقَراءَ ، لِأَنَّ أَصْحابَ عَرَباتِ ٱلرُّكوبِ لا يَكْسِبونَ إِلّا ٱلقَليلَ مِنَ ٱلمالِ . وَلٰكِنَّهُمْ كانوا عَطوفينَ وَدودينَ .

كانَتْ لِجيري عَرَبَتُهُ ٱلخاصَّةُ وَجَوادانِ . وَكانَ أَحَدُهُما جَوادًا عَجوزًا أَبْيَضَ ٱللَّوْنِ يُدْعى كابْتِن . وَفي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ حَكى لي كابْتِن ٱلكَثيرَ عَنْ عَمَلِ جَوادِ جَرِّ عَرَباتِ ٱلرُّكوبِ في لَنْدَن ، فَقالَ لي : « لا يُسْتَخْدَمُ لِجَرِّ ٱلعَرَبَةِ سِوى جَوادٍ واحِدٍ في كُلِّ مَرَّةٍ . كَما أَنَّ صاحِبَنا يَعْمَلُ سِتَّ عَشْرَةَ ساعَةً في ٱلْيَوْمِ طَوالَ ٱلأُسْبوعِ عَدا أَيّامِ ٱلآحادِ . أَيْ أَنَّ كُلَّ جَوادٍ مِنّا يَعْمَلُ ثَمانِيَ ساعاتٍ في ٱلْيَوْمِ . وَرَغْمَ مَشَقَّةِ ٱلعَمَلِ فَإِنَّ سَيِّدي لا يَقْسو عَلَيْنا أَبَدًا . إِنَّ هُناكَ ٱلعَديدَ مِنْ أَصْحابِ ٱلعَرَباتِ ٱلقُساةِ ، وَلٰكِنَّ جيري لَيْسَ واحِدًا مِنْهُمْ ، لِذا سَتُحِبُّهُ . »

خَرَجَ كابْتِن لِجَرِّ ٱلعَرَبَةِ في ٱلصَّباحِ . وَلَمّا عادَ هاري مِنْ مَدْرَسَتِهِ قَدِمَ إِلى ٱلحَظيرَةِ ، وَقَدَّمَ لي بَعْضَ ٱلطَّعامِ وَٱلماءِ . وَعِنْدَما عادَ جيري إِلى ٱلبَيْتِ لِتَناوُلِ غَدائِهِ تَوَلَّتْ زَوْجَتُهُ بولي تَنْظيفَ ٱلعَرَبَةِ ، كَما عاوَنَ هاري

والِدَهُ في إِعْدادِ وَتَرْكيبِ طَقْمِ جَرِّ ٱلعَرَباتِ فَوْقَ ظَهْري . وَقَدِ اسْتَغْرَقَ ذٰلِكَ مِنْهُما وَقْتًا طَويلًا .

وَلَمْ يَسْتَعْمِلا مَعي أَيَّ سُيورٍ مِنَ ٱلَّتي تَشُدُّني في ٱلسَّرْجِ ، كَما أَنَّ ٱلشَّكيمَةَ لَمْ تُؤْلِمْني .

قالَ جيري : « أَظُنُّ أَنَّ ٱلجَوادَ سَعيدٌ بِهٰذا . »

سَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ : « ما اسْمُ ٱلجَوادِ ؟ »

أَجابَها جيري : « إِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذي باعَهُ لَمْ يَعْرِفْ لَهُ اسْمًا ، لِذا فَإِنَّنا سَنُطْلِقُ عَلَيْهِ اسْمَ جاك مِثْلَ ٱلجَوادِ ٱلسّابِقِ يا بولي . »

بِهٰذا بَدَأْتُ عَمَلي كَجَوادٍ لِجَرِّ عَرَبَةٍ لِلرُّكوبِ في لَنْدَن ، وَصارَ اسْمي جاك .

اَلفَصْلُ ٱلثَّامِنَ عَشَرَ

جِيرِي بازْكَر

اِنْطَلَقْنا إلى طَرِيقٍ جانِبِيٍّ ، وَمِنْهُ تَوَجَّهْنا إلى مَوْقِفِ عَرَباتِ ٱلأُجْرَةِ . وَأَخَذَ جِيرِي مَكانَهُ في آخِرِ صَفِّ عَرَباتِ ٱلأُجْرَةِ ٱلَّتي تَقِفُ في ٱنْتِظارِ دَوْرِها .

أَقْبَلَ رَجُلٌ ضَخْمُ ٱلجُثَّةِ يَعْمَلُ سائِقًا لِإِحْدَى عَرَباتِ ٱلأُجْرَةِ لِيُشاهِدَني ، وَكانَ مَعَهُ سائِقانِ آخَرانِ .

كانَ هٰذا ٱلرَّجُلُ هوَ مَنْ يُطْلِقونَ عَلَيْهِ لَقَبَ «ٱلنَّقيبِ» أَيْ أَقْدَمِ سائِقي عَرَباتِ ٱلأُجْرَةِ هُناكَ . وَنَظَرَ ٱلرَّجُلُ إِلَيَّ وَتَحَسَّسَ رَقَبَتي وَجِسْمي وَقَوائِمي ، ثُمَّ قالَ :

«نَعَمْ ، هٰذا هوَ أَفْضَلُ ما يُناسِبُكَ مِنَ ٱلجِيادِ يا جِيرِي بازْكَر . حَتَّى إذا كُنْتَ قَدْ دَفَعْتَ فيهِ مَبْلَغًا كَبيرًا ، فَإِنَّكَ أَحْسَنْتَ صُنْعًا بِشِرائِهِ .»

وَجَدْتُ خِلالَ بِضْعَةِ أَيَّامٍ أَنَّ ٱلعَمَلَ كَجَوادٍ يَجُرُّ عَرَبَةَ رُكوبٍ في مَدينَةِ لَنْدَن عَمَلٌ شاقٌّ . فَتِلْكَ ٱلمَدينَةُ ٱلواسِعَةُ كانَتْ شَيْئًا جَديدًا بِٱلنِّسْبَةِ لي ، وَذٰلِكَ لِما فيها مِنْ ضَوْضاءٍ وَآلافٍ مِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلجِيادِ وَٱلعَرَباتِ ، وَكَثيرٍ مِنَ ٱلأَشْياءِ ٱلَّتي لَمْ أَشْعُرْ مَعَها بِٱلسَّعادَةِ خِلالَ تَجْوالي بِٱلشَّوارِعِ . وَلٰكِنَّني تَبَيَّنْتُ أَنَّ جِيرِي سائِقٌ مُمْتازٌ ، كَما أَنَّهُ لَمَسَ فِيَّ ٱسْتِعْدادًا لِلْعَمَلِ بِكُلِّ جِدٍّ . وَبِفَضْلِ هٰذا صارَتِ ٱلعَلاقَةُ بَيْنَنا عَلى ما يُرامُ .

لَمْ يَضْرِبْني جِيرِي بِٱلسَّوْطِ أَبَدًا . وَكُلُّ ما كانَ يَفْعَلُهُ هوَ أَنْ يَلْمِسَني بِطَرَفِ ٱلسَّوْطِ فَقَطْ ، وَكَأَنَّهُ يَقولُ لي : «هَيَّا ٱنْطَلِقْ .»

وَكُنْتُ في مُعْظَمِ ٱلأَحْوالِ أَعْرِفُ ما يُريدُهُ مِنِّي مِنَ ٱلطَّريقَةِ ٱلَّتي يُحَرِّكُ بِها ٱلعِنانَ .

وَكُنْتُ أَحْظَى أَنا وَٱلجَوادُ كابْتِن بِكُلِّ عِنايَةٍ ، فَكانَ جِيرِي يُقَدِّمُ لَنا طَعامًا شَهِيًّا ، وَكانَتْ حَظيرَتُنا نَظيفَةً دائِمًا .

كانَ يَرْكَبُ ٱلعَرَبَةَ أَحْيانًا مَنْ يَطْلُبُ مِنْ جِيرِي أَنْ يُسْرِعَ في سَيْرِهِ ، فَكانَ يُجيبُهُ دائِمًا بِقَوْلِهِ : «أَنْتَ تَوَدُّ أَنْ نُسْرِعَ لِأَنَّكَ كَسولٌ . كانَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَبْدَأَ رِحْلَتَكَ مُبَكِّرًا ، حَتَّى تَسْتَطيعَ أَنْ تَصِلَ في مَوْعِدِكَ دونَ حاجَةٍ إلى أَنْ نُسْرِعَ بِكَ .»

لَمْ يَكُنْ جِيرِي يَرْضَى أَنْ يُسْرِعَ جِيادُهُ في جَرْيِها لِيُساعِدَ هٰؤُلاءِ ٱلكُسالَى حَتَّى وَلَوْ عَرَضوا عَلَيْهِ أَجْرًا أَكْبَرَ .

بَعْدَ أَنْ تَعَوَّدْتُ عَلى ٱلسَّيْرِ في شَوارِعِ لَنْدَن ، أَصْبَحْنا نَسْتَطيعُ أَنْ نَنْطَلِقَ أَسْرَعَ مِنْ مُعْظَمِ عَرَباتِ ٱلرُّكوبِ ٱلأُخْرَى إذا أَرَدْنا .

كانَ جِيرِي يَقولُ لي وَهوَ يُرَبِّتُ عَلَيَّ : «نَحْنُ عَلى ٱسْتِعْدادٍ لِأَنْ نُسْرِعَ إذا ٱقْتَضَى ٱلأَمْرُ ذٰلِكَ ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ يا جاك ؟»

كانَ يَعْرِفُ أَسْرَعَ ٱلطُّرُقِ ٱلمُؤَدِّيَةِ إلى ٱلمُسْتَشْفَياتِ في لَنْدَن وَكُنَّا في بَعْضِ ٱلأَحْيانِ نَقْطَعُ ٱلطَّريقَ إلى تِلْكَ ٱلمُسْتَشْفَياتِ في سُرْعَةٍ بالِغَةٍ .

فِي يَوْمٍ مِنَ ٱلأَيَّامِ ٱلْمَطِيرَةِ ، وَبَعْدَ أَنْ أَوْصَلْنا أَحَدَ ٱلرُّكَّابِ إِلى ٱلْفُنْدُقِ ٱلَّذي يَنْزِلُ بِهِ ، تَقَدَّمَتْ سَيِّدَةٌ شابَّةٌ يَبْدو عَلَيْها ٱلْفَقْرُ إِلى جيري وَتَحَدَّثَتْ مَعَهُ . وَكانَتِ ٱلسَّيِّدَةُ تَحْمِلُ صَبِيًّا بَيْنَ ذِراعَيْها ، وَكانَتْ عَلَيْهِ أَماراتُ ٱلْمَرَضِ ٱلشَّديدِ . سَأَلَتْ جيري قائِلَةً :

«هَلْ لَكَ أَنْ تُرْشِدَني إِلى ٱلطَّريقِ ٱلْمُؤَدّي إِلى مُسْتَشْفَى ٱلأَطْفالِ ؟ لَقَدْ قَدِمْتُ لِتَوِّي مِنَ ٱلرِّيفِ ، وَلا أَعْرِفُ ٱلْكَثيرَ عَنِ ٱلعاصِمَةِ ، وَمَعي تَقْريرُ ٱلطَّبيبِ لِأُقَدِّمَهُ لِمُسْتَشْفَى ٱلأَطْفالِ . وَقَدْ قالَ لي إِنَّ هٰذا ٱلْمُسْتَشْفَى قَدْ يَسْتَطيعُ أَن يُنْقِذَ ابْني .»

أَجابَها جيري : «إِنَّ ٱلْمَسافَةَ إِلى ٱلْمُسْتَشْفَى طَويلَةٌ وَلا تَسْتَطيعينَ أَنْ تَقْطَعيها سَيْرًا عَلى ٱلأَقْدامِ في هٰذا ٱلْجَوِّ ٱلْمَطيرِ وَأَنْتِ تَحْمِلينَ هٰذا الصَّبِيَّ بَيْنَ ذِراعَيْكِ . اصْعَدي إِلى ٱلْعَرَبَةِ ، وَسَأَنْقُلُكِ إِلى ٱلْمُسْتَشْفَى .»

قالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ ٱلشّابَّةُ : «شُكْرًا لَكَ ، وَلٰكِنَّني لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَرْكَبَ ٱلْعَرَبَةَ ، إِذْ لَيْسَ مَعي نُقودٌ لِأَدْفَعَها لَكَ .»

قالَ جيري : «مَنْ ذَكَرَ لَكِ شَيْئًا عَنِ ٱلنُّقودِ ؟ إِنَّني أَبٌ ، وَأُحِبُّ ٱلأَطْفالَ . وَعِنْدَما أَقومُ بِنَقْلِكِ ، سَيَكونُ في هٰذا ما يُسْعِدُني . أَرْجو أَنْ تَرْكَبي ٱلْعَرَبَةَ .»

ساعَدَ جيري ٱلسَّيِّدَةَ عَلى ٱلصُّعودِ إِلى ٱلْعَرَبَةِ . وَكانَتْ تَبْكي ، فَأَخَذَ يُرَبِّتُ عَلى كَتِفِها مُهَدِّئًا ، ثُمَّ صَعِدَ إِلى مَكانِهِ بِٱلْعَرَبَةِ وَأَمْسَكَ بِٱلعِنانِ قائِلًا : «لِنَنْطَلِقْ يا جاك .»

عِنْدَما وَصَلْنا إِلى ٱلْمُسْتَشْفَى ساعَدَ جيري ٱلسَّيِّدَةَ ٱلشّابَّةَ عَلى ٱلنُّزولِ مِنَ ٱلْعَرَبَةِ وَٱلدُّخولِ مِنَ ٱلبابِ ٱلأَمامِيِّ ٱلْكَبيرِ لِلْمُسْتَشْفَى .

قالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ لِجيري : « أَشْكُرُكَ ! أَشْكُرُكَ ! إِنَّكَ رَجُلٌ طَيِّبُ ٱلْقَلْبِ، وَرَحيمٌ . »

في تِلْكَ ٱللَّحْظَةِ خَرَجَتْ إِحْدَى ٱلسَّيِّداتِ مِنَ ٱلْمُسْتَشْفَى وَسَمِعَتْ كَلِماتِ ٱلسَّيِّدَةِ ٱلشّابَّةِ فَتَطَلَّعَتْ إِلى ذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ ٱلرَّحيمِ ، وَما إِنْ رَأَتْهُ حَتّى صاحَتْ : « جيري بارْكَر ! »

اَلفَصْلُ ٱلتَّاسِعَ عَشَرَ

تَغيُّرٌ آخَرُ

قُمْنا بِنَقْلِ تِلْكَ ٱلسَّيِّدَةِ إلى مَحَطَّةِ ٱلسِّكَّةِ ٱلحَديدِ لِتَرْكَبَ ٱلقِطارَ وَهِيَ تُدعى فاوْلَر . وَقَدْ عَرَفَتْ تِلْكَ ٱلسَّيِّدَةُ جيري لِأَنَّ زَوْجَتَهُ بُولي كانَتْ تَعْمَلُ بِمَنْزِلِها في ٱلرِّيفِ . وَبَدَأَتْ هٰذِهِ ٱلسَّيِّدَةُ تَسْأَلُهُ عَنْ زَوْجَتِهِ وَعَنِ ٱبْنِهِ هاري وَٱبْنَتِهِ ثُمَّ سَأَلَتْهُ : « كَيْفَ حالُكَ يا جيري ؟ أَلا يَزالُ ٱلبَرْدُ يُؤْذيكَ شِتاءً ؟ »

أَجابَها : « نَعَمْ ، مازالَ ٱلبَرْدُ يُسَبِّبُ لِيَ ٱلمَرَضَ ، وَقَدْ مَرِضْتُ مَرَضًا شَديدًا في شَهْرِ يَنايِرَ ٱلماضي . »

قالَتْ لَهُ ٱلسَّيِّدَةُ فاوْلَر : « عَلَيْكَ أَنْ تَبْحَثَ لِنَفْسِكَ عَنْ عَمَلٍ آخَرَ يا جيري . إِنَّكَ لَمْ تَعُدْ تَصْلُحُ لِلْعَمَلِ سائِقًا لِعَرَباتِ ٱلأُجْرَةِ . »

أَجابَها : « إِنَّني أَوَدُّ أَنْ أَجِدَ لِنَفْسي عَمَلًا في ٱلرِّيفِ ، فَهُوَ أَنْسَبُ لِبُولي وَٱبْني وَٱبْنَتي ، وَلٰكِنْ لَيْسَ أَمامي ٱلكَثيرُ مِنْ فُرَصِ ٱلعَمَلِ بِٱلرِّيفِ . »

كانَ جيري يَعْتَلُّ شِتاءً ، لٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَكُفُّ عَنِ ٱلعَمَلِ ، وَكانَ هٰذا يَزيدُ مِنْ مَرَضِهِ . وَكانَتْ زَوْجَتُهُ تَبْكي كَثيرًا لِهٰذا ٱلسَّبَبِ ، وَلَمْ يَكُنْ في ٱسْتِطاعَتِها أَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا .

وَبَعْدَ أَنْ أَمْضَيْتُ خَمْسَ سَنَواتٍ في ٱلعَمَلِ كَحِصانٍ لِجَرِّ عَرَباتِ ٱلرُّكوبِ في ٱلعاصِمَةِ ، حَدَثَ ذاتَ يَوْمٍ أَنْ تَلَقَّتْ بُولي رِسالَةً مِنَ ٱلسَّيِّدَةِ فاوْلَر كانَ نَصُّها ما يَلي :

« عَزيزَتي بُولي :

إِنَّ ٱلسّائِسَ ٱلَّذي يَعْمَلُ عِنْدي قَدْ وَجَدَ لِنَفْسِهِ عَمَلًا آخَرَ ، وَيَوَدُّ أَنْ يَلْتَحِقَ بِعَمَلِهِ ٱلجَديدِ اعْتِبارًا مِنْ أَوَّلِ ٱلشَّهْرِ ٱلقادِمِ ، كَما أَنَّ زَوْجَتَهُ ٱلَّتي تَعْمَلُ عِنْدي طاهِيَةً سَوْفَ تَصْحَبُهُ .

فَهَلْ تَرْغَبانِ ، أَنْتِ وَزَوْجُكِ ، في أَنْ تَلْتَحِقا بِٱلعَمَلِ عِنْدي ، فَيَعْمَلَ جيري سائِسًا وَيُعاوِنَهُ هاري في عَمَلِهِ ، وَتَعْمَلي أَنْتِ طاهِيَةً لي ؟ وَسَوْفَ يُخَصَّصُ لَكُمْ بَيْتٌ صَغيرٌ فَوْرَ وُصولِكُمْ .

أَرْجو أَنْ تُوافِقي .

المُخْلِصَةُ
ماري فـــاوْلَر »

ظَلَّ جيري وَبُولي يُناقِشانِ هٰذا ٱلمَوْضوعَ طَوالَ ٱليَوْمَيْنِ ٱلتّالِيَيْنِ ، وَأَخيرًا بَعَثَ جيري بِرَدِّهِ عَلى رِسالَةِ ٱلسَّيِّدَةِ فاوْلَر ، وَذَكَرَ في خِطابِهِ أَنَّهُ يُسْعِدُهُ أَنْ يَعْمَلَ في خِدْمَتِها . وَرَغْمَ أَنَّني شَعَرْتُ بِٱلسَّعادَةِ مِنْ أَجْلِهِمْ فَقَدْ أَحْزَنَني أَنْ يَكونَ هُناكَ تَغَيُّرٌ جَديدٌ في حَياتي ، خُصوصًا وَأَنَّني كُنْتُ أُحِبُّ جيري وَبُولي وَٱبْنَهُ وَٱبْنَتَهُ .

حاوَلَ بَعْضُ سائِقي عَرَباتِ ٱلأُجْرَةِ مِنْ أَصْدِقاءِ جيري أَنْ يَأْخُذوني ، وَلٰكِنَّهُ فَضَّلَ أَنْ يَجِدَ لي مَكانًا أَفْضَلَ لِأَسْتَقِرَّ بِهِ . وَكانَ يَقولُ إِنَّ جاكَ قَدْ تَقَدَّمَتْ بِهِ ٱلسِّنُّ ، وَإِنَّ ٱلعَمَلَ في جَرِّ عَرَباتِ ٱلرُّكوبِ عَمَلٌ شاقٌّ .

قَبْلَ أَنْ يَتَوَجَّهَ جيري وَأُسْرَتُهُ إلى مَقَرِّهِمُ ٱلجَديدِ باعَني إلى مُزارِعٍ يُقيمُ على مَشارِفِ لَنْدَن ، وَيُدْعى تَرْغود . وَكانَ خَبيرًا في تَرْبِيَةِ ٱلجِيادِ ، وَقالَ لِجيري : « سَآخُذُ جَوادَكَ يا جيري ، وَسَوْفَ أُقَدِّمُ لَهُ أَفْضَلَ ٱلطَّعامِ ، كَما سَأُطْلِقُهُ لِبِضْعَةِ أَسابيعَ في ٱلحَقْلِ قَبْلَ أَنْ أَجِدَ لَهُ مالِكًا جَديدًا على قَدْرٍ مِنَ ٱلرِّفْقِ وَٱلطّيبَةِ . »

قادَني ٱلسَّيِّدُ تَرْغود لِيَعودَ بي . وَكُنّا في شَهْرِ أَبْريل ، وَكانَ جيري ما زالَ مَريضًا ، بَعْدَ أَنْ قَضى شَهْرَيْ يَنايِرَ وَفِبْرايِرَ في حالَةٍ سَيِّئَةٍ . وَلٰكِنَّهُ خَرَجَ وَمَعَهُ بولي وَابْنُهُ وَابْنَتُهُ وَهُمْ يُرَبِّتونَ عَلَيَّ لِآخِرِ مَرَّةٍ ، وَقالَ لي جيري :

« سَوْفَ تَعيشُ حَياةً سَعيدَةً يا جاكُ ٱلعَجوزُ . »

أَمّا دولي فَقالَتْ : « سَوْفَ أَذْكُرُكَ دائِمًا . »

اَلفَصْلُ ٱلعِشْرونَ

بَيْتي ٱلأَخيرُ

كانَ ٱلسَّيِّدُ تَرْغود عَطوفًا عَلَيَّ . وَقَضَيْتُ في مَزْرَعَتِهِ أَيّامًا سَعيدَةً ، بَلْ شَعَرْتُ أَنَّني أَصْغَرُ سِنًّا ، وَلٰكِنَّني لَمْ أَكُنْ في ٱلواقِعِ جَوادًا صَغيرَ ٱلسِّنِّ .

قالَ ٱلسَّيِّدُ تَرْغود لِلسّائِسِ : « يَجِبُ أَنْ نَجِدَ لِجاكَ بَيْتًا مُناسِبًا ، وَمَكانًا بِهِ عَمَلٌ مُناسِبٌ لَيْسَ بِٱلكَثيرِ أَوِ ٱلشّاقِّ . »

قالَ ٱلسّائِسُ : « إِنَّ ٱلسَّيِّدَتَيْنِ ٱلمُسِنَّتَيْنِ ٱللَّتَيْنِ تَسْكُنانِ في ٱلمَزْرَعَةِ ٱلمُجاوِرَةِ تَبْحَثانِ عَنْ جَوادٍ مُناسِبٍ لِيَقودَ عَرَبَتَهُما ذاتَ ٱلعَجَلَتَيْنِ . وَتُفَضِّلانِ أَلّا يَكونَ ٱلجَوادُ صَغيرًا حَتّى لا يُسْرِعَ بِهِما . »

فَكَّرَ ٱلسَّيِّدُ تَرْغود قَليلًا ثُمَّ قالَ : « إِذا راقَ لَهُما جاكُ فَلْتَأْخُذاهُ ، فَهُوَ ٱلجَوادُ ٱلمُناسِبُ لَهُما . وَلٰكِنْ قَدْ يَنْتابُهُما ٱلخَوْفُ إِذا ما شاهَدَتا ما بِقَوائِمِهِ مِنْ آثارِ جُروحٍ ، لِذا فَإِنَّنا سَنَأْخُذُهُ إلى هُناكَ غَدًا ، لِتُشاهِداهُ . »

كانَتِ ٱلسَّيِّدَتانِ ٱلمُسِنَّتانِ في بَيْتِهِما في ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ ، أَمّا ٱلسّائِقُ فَلَمْ يَكُنْ بِٱلمَنْزِلِ عِنْدَ وُصولِنا . وَفي ٱلحالِ حَظيتُ بِإِعْجابِ ٱلسَّيِّدَةِ إِلين ، فَقالَتْ : « إِنَّهُ جَوادٌ مُمْتازٌ ، وَلَهُ وَجْهٌ رَقيقٌ ، وَسَوْفَ نُحِبُّهُ كَثيرًا . »

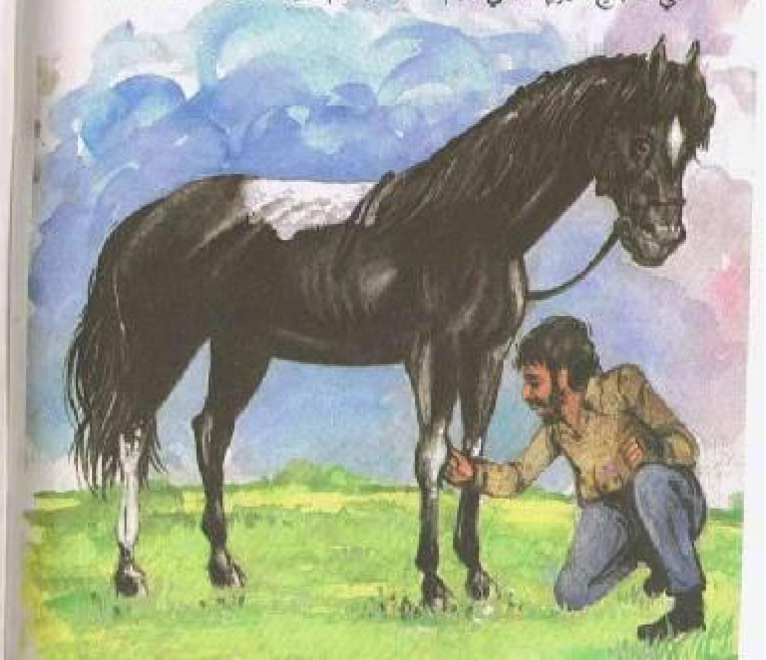
قالَ ٱلسَّيِّدُ تَرْغود : « إِنَّهُ جَوادٌ مُمْتازٌ لِلْغايَةِ ، وَلٰكِنْ يَتَحَتَّمُ عَلَيَّ أَنْ أُرِيَكِ ما بِقَوائِمِهِ مِنْ آثارٍ لِلْجُروحِ نَتَجَتْ عَنْ سُقوطِهِ يَوْمًا . »

قالَتْ شَقيقَتُها ٱلكُبْرى مُتَسائِلَةً : « أَتَعْتَقِدُ أَنَّهُ سَيَسْقُطُ مَرَّةً أُخْرى ؟ »

أجابَها : «لا أعْتَقِدُ ذٰلِكَ . إنَّ هٰذِهِ آلآثارَ كَثيرًا ما نُشاهِدُها بِالجِيادِ ، وَعادةً ما تكونُ بِسَبَبِ آلإهْمالِ في قِيادَتِها . وَأعْتَقِدُ أنَّ جاك سَقَطَ لِهٰذا آلسَّبَبِ أيْضًا . إنَّهُ عِنْدي مُنْذُ عِدَّةِ أسابيعَ ، وَلاحَظْتُ خِلالَها أنَّهُ جَوادٌ مُمْتازٌ . فَهَلْ لَكِ أنْ تُجَرِّبيهِ يا سَيِّدةُ بلومفيلد ؟ إذا رَغِبْتِ في ذٰلِكَ فَابْعَثي لي سائِقَكِ غَدًا وَدَعيهِ يُجَرِّبُ آلجَوادَ لِبِضْعَةِ أيّامٍ .»

سَعِدَتِ آلسَّيِّدةُ آلعَجوزُ بِفِكْرَتِهِ وَقالَتْ : «إنَّكَ تَبيعُ لَنا دائِمًا أفْضَلَ آلجِيادِ يا سَيِّدُ زَرْغود ، فَشُكْرًا لَكَ . إنَّ هٰذا ما سَنَفْعَلُهُ في آلواقِعِ .»

في صَباحِ آليَوْمِ آلتّالي قَدِمَ شابٌّ وَسيمٌ إلى مَزْرَعةِ آلسَّيِّدِ زَرْغود ، وَفَحَصَني وَرَأى ما بِقَوائِمي مِنْ آثارِ جُروحٍ وَعَلاماتٍ ثُمَّ سَألَ آلسَّيِّدَ زَرْغود : «لِماذا تَوَدُّ أنْ تَبيعَ لَنا هٰذا آلجَوادَ آلَّذي سَبَقَ أنْ سَقَطَ عَلى هٰذا آلنَّحْوِ آلسَّيِّئِ ؟»



أجابَهُ : «إنَّني لَنْ أبيعَهُ قَبْلَ أنْ تُجَرِّبَهُ أنْتَ وَآلسَّيِّدَتانِ . وَأعْتَقِدُ أنَّكُمْ سَتُعْجَبونَ بِهِ كَثيرًا ، وَيُمْكِنُكُمْ إعادَتُهُ لي إنْ لَمْ يَحْظَ بِإعْجابِكُمْ .»

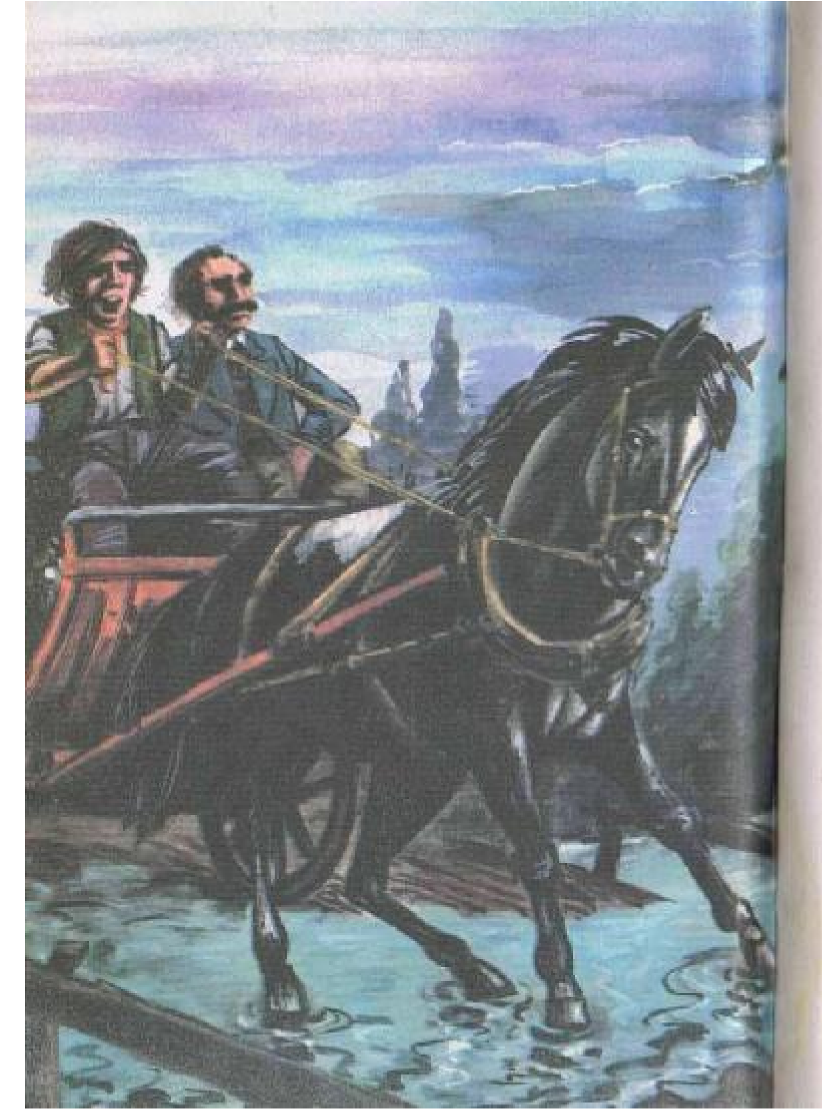
قادَني آلسّائِسُ إلى آلمَزْرَعةِ ، وَفي آلمَساءِ اعْتَنى بي . وَبَيْنَما كانَ يَمْسَحُ وَجْهي نَظَرَ إلى آلغُرَّةِ آلَّتي تَتَوَسَّطُ جَبيني وَقالَ : «إنَّ هٰذِهِ آلغُرَّةَ أشْبَهُ بِتِلْكَ آلَّتي كانَتْ في وَجْهِ آلجَمالِ آلأسْوَدِ ، كَما أنَّ رَأْسَهُ مِثْلُ رَأْسِ آلجَمالِ آلأسْوَدِ أيْضًا . كَمْ أوَدُّ أنْ أعْرِفَ أيْنَ هٰذا آلجَوادُ آلآنَ .»

واصَلَ مَسْحَهُ لِجِسْمي ، وَتَوَقَّفَ عِنْدَ ظَهْري قائِلًا : «هُنا أيْضًا عَلامةٌ بَيْضاءُ بِظَهْرِهِ أشْبَهُ بِتِلْكَ آلَّتي كانَتْ بِآلجَمالِ آلأسْوَدِ .» ثُمَّ تَراجَعَ مُتَطَلِّعًا إلَيَّ مَرَّةً أُخْرى وَقالَ :

«بِهٰذا آلجَوادِ غُرَّةٌ كَتِلْكَ آلَّتي بِآلجَمالِ آلأسْوَدِ ، وَلَهُ ساقٌ بَيْضاءُ آللَّوْنِ مِثْلُهُ ، وَلَهُ أيْضًا عَلامةٌ بِظَهْرِهِ . إنَّهُ فِعْلًا آلجَمالُ آلأسْوَدُ ، ألَيْسَ هٰذا صَحيحًا يا صَديقي ؟ هَلْ تَعْرِفُني ؟ إنَّني جو غرين آلصَّغيرُ . لَقَدْ كِدْتُ يَوْمًا أنْ أقْتُلَكَ .» وَأخَذَ يُرَبِّتُ عَلَيَّ مَرّاتٍ وَمَرّاتٍ .

تَذَكَّرْتُ آلغُلامَ آلصَّغيرَ ، آلَّذي شَبَّ آلآنَ وَصارَ شابًّا . وَكَمْ أسْعَدَني هٰذا ، فَرَفَعْتُ أنْفي مُحاوِلًا أنْ أجْعَلَهُ يَعْرِفُ أنَّنا صَديقانِ . وَسُرَّ بِذٰلِكَ سُرورًا بالِغًا وَقالَ لي : «لَقَدْ قَضَيْتَ أوْقاتًا عَصيبةً ، وَلٰكِنَّنا سَنُحاوِلُ قَدْرَ اسْتِطاعَتِنا أنْ نُسْعِدَكَ هُنا .»

في صَباحِ آليَوْمِ آلتّالي تَوَلّى جو تَنْظيفَ جِسْمي بِآلفِرْجَوْنِ ، وَوَضَعَ عَلى



ظَهْري طَقْمَ جَرِّ ٱلْعَرَباتِ لِأَجُرَّ عَرَبَةً ذاتَ عَجَلَتَيْنِ . وَكانَتْ عَرَبَةً جَميلَةً لِلْغايَةِ ، وَكانَتِ ٱلسَّيِّدَةُ إلين هِيَ ٱلَّتي رَغِبَتْ في أَنْ تُجَرِّبَني ، وَصَحِبَها جُو غرين . كانَتْ سائِقَةً مُمْتازَةً وَحَظيتُ بِإِعْجابِها .

سَمِعْتُ جُو يَحْكي لَها عَنّي ، وَيَقولُ إِنّي كُنْتُ أُدْعَى ٱلْجَمالَ ٱلْأَسْوَدَ عِنْدَما كُنْتُ في حَظائِرِ ٱلسَّيِّدِ غوردون .

عِنْدَما عُدْنا إِلى ٱلْمَزْرَعَةِ وَجَدْنا ٱلسَّيِّدَةَ بلومفيلد بِٱلْبابِ ، وَقالَتْ : «إِنَّهُ حِصانٌ جَميلٌ . هَلْ هُوَ مُمْتازٌ أَيْضًا ؟»

أَجابَتْها ٱلسَّيِّدَةُ إلين : «نَعَمْ إِنَّهُ مُمْتازٌ جِدًّا . وَلٰكِنْ هَلْ تَعْرِفينَ مَنْ هُوَ ؟ إِنَّ ٱسْمَهُ ٱلْجَمالُ ٱلْأَسْوَدُ ، كانَ يَوْمًا في مَزْرَعَةِ ٱلسَّيِّدِ غوردون ٱلَّذي كانَ يُحِبُّهُ كَثيرًا . وَيَقولُ جُو إِنَّ هٰذا ٱلْجَوادَ قَدْ أَنْقَذَ حَياةَ زَوْجَةِ ٱلسَّيِّدِ غوردون وَكادَ أَنْ يَقْتُلَ نَفْسَهُ في سَبيلِ إِنْقاذِها . سَأَكْتُبُ خِطابًا إِلى زَوْجَةِ ٱلسَّيِّدِ غوردون لِأُبَلِّغَها هٰذا . وَلا شَكَّ أَنَّها سَتُسَرُّ عِنْدَما تَعْرِفُ أَنَّ ٱلْجَمالَ ٱلْأَسْوَدَ هُنا .»

في ٱلْيَوْمِ ٱلتّالي تَوَلَّيْتُ جَرَّ ٱلْعَرَبَةِ ، بَيْنَما كانَتِ ٱلسَّيِّدَةُ بلومفيلد تَقودُها ، وَقَدْ حَظيتُ بِرِضاها أَيْضًا ، بَلْ وَسَمِعْتُها تَقولُ لِلسَّيِّدَةِ إلين : «سَوْفَ نَحْتَفِظُ بِهٰذا ٱلْجَوادِ وَسَنُعيدُ لَهُ ٱسْمَهُ ٱلْقَديمَ – ٱلْجَمالَ ٱلْأَسْوَدَ .»

وَهأَنَذا أَعيشُ هُنا سَعيدًا مُنْذُ عامٍ تَقْريبًا ، وَمَعي جُو أَعَزُّ أَصْدِقائي ، ذٰلِكَ ٱلسّائِسُ ٱلْحَنونُ ؛ كَما أَنّي أَتَمَتَّعُ بِحُبِّ ٱلْجَميعِ هُنا . وَقَدْ قالَتِ ٱلسَّيِّدَتانِ إِنَّهُما لَنْ تُفَكِّرا في بَيْعي .

إِذًا فَلَيْسَ هُناكَ ما أَخْشاهُ ، وَسَأُواصِلُ عَمَلي سَعيدًا طَوالَ حَياتي هُنا .

الحكايات اللطيفة

١ - حكايات من ألف ليلة وليلة
٢ - البطة الصغيرة القبيحة وقصص أخرى
٣ - الجواد الأسود الشجاع
٤ - حكايات من تاريخ العرب
٥ - الصندوق العجيب وقصص أخرى
٦ - الحذاء السحري وقصص أخرى
٧ - أليس في بلاد العجائب
٨ - حورية النار وقصص أخرى
٩ - أولاد الغابة



مكتبة لبنان

ساحة رياض الصلح - بيروت

رقم مرجع كمبيوتر 603 198 C 01